297

أخبار اليوم

قطاع الثقافة والكتب والمكتبات

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود

على حافة الزلزال



A.M

دكتور مصطفى محمود

نصوص وقراءات

غسان كنفاني

عائد إلى حيفا

تقديم: عمر حفيظ



رواية

حامد للنشر والتوزيع

الدكتور مصطفى محمود

على حافة الزلزال

على حافة الزلزال

حكاية ١١ سبتمبر

١

الآن وبعد تسلسل الأحداث فى أعقاب الحادى عشر من سبتمبر وتفجير مركز التجارة الدولى وسقوط البرجين وهدم البنتاجون وحرائق نيويورك وواشنطن والغضبة الأمريكية التى اعتبرت ما حدث عملا إرهابيا مدبرا بأيدى طالبان ونظام القاعدة وأن ما حدث هو عدوان يسوغ لها تجريد حملة عسكرية لغزو أفغانستان وإسقاط رؤوس الحكم الإسلامى هناك .. وكيف تحولت الغضبة الشرسة إلى خطة عسكرية محكمة وتحالف مع قوات الشمال الأفغانى المعارض .. وأفواج من الطائرات المنقضة وقنابل رهيبة زنة ٧ أطنان وقنابل انشطارية من النوع المحرم دوليا واستباحة لكل المحرمات العسكرية وخروج على كل القيود وانتهاك لكل التحفظات للخلاص من العملية بسرعة ودخول كابول ورفع الأعلام الأمريكية .. قبل رمضان .. مرت هذه الأحداث بذهنى كبرق خاطف واستولى على شعورى إدراك مفاجىء .. بأن الذين قالوا بأن أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى أحداث مصنوعة بأيد أمريكية لتسوغ هذا الذى أراه أمامى من عنف وعدوانية .. وأنها طبخة أمريكية لتسويق هذا العدوان وتبريره .. استعرضت هذا الرأى فى ذهنى ورحت أمضغه فى بطء .. ورأيت

لأول مرة أنه تفكير له أسبابه .. وأنه رأى لا يمكن استبعاده .

إن تداعى الأحداث بهذه السرعة .. والنقلات الفورية من مرحلة لمرحلة .. والتوظيف الفورى للسخط والإحباط الذى أصاب المشاهد الأمريكى لما يشاهده على شاشات التليفزيون .. والإحساس بالإهانة لما يراه ويحق أمريكا الكامل فى أن تعاقب وتنكل بمن فعل هذا وأن تدمر وتمحق وتسحق كل أعدائها .

وتوظيف كل هذه المشاعر وتعبئتها فى هجوم مخطط وفورى ..

واستعراض ما حدث فى سيل فياض من الصور والمشاهد تنهال على أعين المشاهدين فى كل تليفزيونات العالم بشكل متكرر ومفروض ودورى ومتعمد لغرس الهول فى قلوب كل من يرى ويسمع وغرس الإحساس بالذنب فى شعور كل إنسان لم يتعاطف مع أمريكا ولم ينهض إلى نجدتها وإلى الانتقام من أعدائها المجرمين .

كل هذا يدل على أن حرائق الحادى عشر من سبتمبر كانت وجبة سابقة التجهيز لتبرير هجوم وعدوان أكبر لامتلاك ناصية هذا العالم والتحكم فى مصيره ومستقبله وثروات شعوبه وأيضا حريات أفراده.. انتقاما لما حدث .

ومن يلومها ؟!!

لن يلومها أحد فى كل ما تفعل .. « عداها العيب » .

ولكن الخطة كانت أكبر بكثير مما حدث .. وأوسع بكثير مما نرى.. وعواقبها كانت أبعد بكثير مما يقع تحت حصر .. وكانت خطتها قد أُعدت سلفا على مهل وتدبر وتفكر .

- فقد نقلت أمريكا جيوشها وعسكرها وقواعد طائراتها إلى أفغانستان وسيكون لها قول ونصيب فى بترول بحر قزوين وسيكون

للشركات الأمريكية حصة الأسد فى تصنيع وتكرير ومد خطوط وأنابيب هذا النفط عبر آسيا لكل الدول الشريكة .. ونفس الشىء يقال عن الغاز الطبيعى من هذه المصادر ومشتقاته .. وهى أحلام قديمة كانت تخطط لها أمريكا من زمن .. ثم إن هناك نتائج أبعد ..

– وبعد ما حدث لأفغانستان وللنظام الطالبانى الإسلامى وللنظم الإسلامية التى تشبهه فى تشدده .. سيكون التطبيق الإسلامى محل نظر .. وستوضع الدول الإسلامية كلها فى خانة المساءلة وفى خانة الرعب الأبدى .. وستكون الشريعة الإسلامية ذاتها محل نظر ومحل تغيير وتبديل وتطوير .. وربما احتاج الأمر إلى أن تصبح الدول العربية الإسلامية مثل تركيا تذيع العملية الجنسية على شعوبها فى جميع الفضائيات باعتبار أن هذا هو التقدم .. والتمدن .. وربما يجرى الضغط على كل دول العالم الإسلامى للأخذ بالنظام العلمانى.. وسوف تتحكم أمريكا فى الأسواق الإسلامية بيعا وشراء وسوف تملك ناصية التجارة العالمية بالكامل .. وسوف تتراجع الأسواق العربية إلى ركود لا يدرى أحد متى تكون نهايته .

وسوف يتم تسويق الشذوذ الجنسى وزواج الرجال بالرجال وزواج النساء بالنساء فى كل العالم الإسلامى الخاضع لوصاية أو تسلط أمريكى فهذا هو المفهوم الواسع للحرية والتمدن .

وسوف تباح المخدرات ويعرض البنجو والحشيش والأفيون والهيروين كما تعرض هذه المخدرات على أرصفة الدنمرك وهولندا .. وسوف تستنزف المخدرات خزائن الدول الإسلامية وصحة شبابها ووعى رجالها .. كما حدث فى حرب الأفيون التى ضيعت الصين لقرون خلت ..

وسـوف تحكم أمـريكا العـالم وتسـيره على هواها ولمصـالح اقتصادها ولسلطان دولارها .

إننا نقول الآن أن الحرب انتهت .. وأنا أعتقد أنها بدأت .

وستكون الحرب القادمة حروبا اقتصادية وإفسادا إعلاميا وانحلالا شبابيا وتدهورا معنويا فى كل شىء .

والسؤال الذى يجول فى خاطر الكل الآن .

وهل تطلق يد أمريكا لتفعل كل هذا .. ؟!! وكيف ستفرض سلطانها على العالم كله .. وكيف تحكمه بلا منافس .. ؟!

أليس لهذه الدنيا خالق وللكون صاحب يسيره ..

أقول نعم .. ومن أجل هذا سوف تأتى عاد الثانية .. لأن النظام الأمريكى سينفرد بالعالم وسيحاول تشكيله على هواه وسوف تتحكم وتسخر كل شىء من أجل مصالحها

ومن أجل هذا يقول القرآن عن رب العالمين :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النجم : ٥٠]

وهى إشارة قرآنية بأنه سوف تأتى فيما تبقى من زمن .. عاد ثانية تحكم العالم بلا منافس وتسود وتتحكم .. وما يحدث الآن هى مقدماتها .. والحرب الأخيرة على أفغانستان هى المدخل والبداية لهذا الذى سوف يحدث ..

يبقى سؤال يلح على القراء ولا شك هو

لماذا غيرت موقفى ومفهومى لأحداث الحادى عشر من سبتمبر ؟

ولماذا أخذت بالنظرية القائلة بأنها عملية سياسية محبوكة ومدبرة .

وليست إرهابا أفغانيا .. ولا هى عملية من عمليات بن لادن ؟

وأقول إنكم قد رأيتم ورأينا معكم قدرات هذا الشعب الأفغانى

المهلهل على شاشات التليفزيون والفضائيات والذى لا يجد قوت يومه.. وماذا فعل أمام الموت الذى ينقض عليه من السماء والقنابل التى تفجر بيوته وتهدم أعشاشه .. والذى انسحب من كابول بعد أيام.. ثم انهار تماما وتفكك وتبخر ولم يعد له وجود .

هل هذا الأفغانى الجائع المهلهل هو الذى اختطف الطائرة الـ Pan American وجلس يتعامل بعبقرية مع الكترونياتها ويقوم بعرض بهلوانى مذهل ينقض فيه من السماء إلى غابة الأبراج ويدور حولها ويخترقها ويفجرها .. استحالة ..

هذه الحرفية لا يمكن أن تنشأ بتمرينات عدة أيام .

إنهم الأمريكان لحما ودما .. وهذه لعبتهم .. وهم وحدهم الذين يعرفون الممرات الجوية فى سماواتهم والقوانين التى تحكم فضاءهم المزدحم بالحركة والنشاط .

وأيضا هم الذين صنعوا عبوات الأنثراكس .. فالأبحاث البيولوجية.. والحرب البيولوجية لعبتهم .. وهم قد اعترفوا أن الأنثراكس قادم من الداخل الأمريكى .

وأيضا هم الذين صنعوا تفجير أوكلاهوما .. باعترافهم .. وأعداؤهم فيهم ومنهم .

وهم الذين اختطفوا هذه الطائرات وقدموا هذه البهلوانيات .. هذا هو الاحتمال الأقرب .

والخبر الذى تردد فى كل النشرات الإذاعية وفى كل الفضائيات عن الأربعة آلاف يهودى الذين يعملون فى مركز التجارة العالمى والذين تلقوا أمرا بعدم الحضور إلى المركز يوم ١١ سبتمبر .. هو أكبر دليل على أن الطبخة سابقة التجهيز .. وأنها معلومة باليوم

وبالساعة وبالثانية .

أما السؤال الأكثر صعوبة ..

كيف تصنع أمريكا بنفسها هذا الدمار لنفسها عامدة متعمدة .

وهل قاد هذه الطائرات طيارون .. أم كان يحركها ريموت كونترول من على الأرض ..؟!

كلها تفاصيل لا تقدم ولا تؤخر .. وشريحة الكترونية صغيرة توضع فى الطائرة تصنع كل هذا وأكثر ..

إنما مفتاح هذه العملية .. هو ماذا ستخسر أمريكا .. برجين ؟!.. ونعلم الآن أنهما قد بيعا لجهة تقدمت لشرائهما (مما يدل على أنه كانت هناك صفقة مبيتة) .

أما ماذا ستكسب .. فعليك أن تقرأ المقال من أوله .

إنها سوف تمتلك ناصية العالم كله وسوف تتحكم فى مصيره ومستقبله وثروات شعوبه وحريات أفراده .

ربح البيع ..

إن المكسب أكبر من الخسارة بكثير .

إن البرجين قد بيعا وسوف تقبض ثمنهما .

والمكسب صافى .

والمغامرة تستحق .

ولا أدعى أنى عرفت الحقيقة ..

ولكن هو مجرد افتراض لا يمكن استبعاده .. ضمن الفروض العديدة التى طرحتها الحادثة على عقولنا .. مجرد اجتهاد قد يخطىء وقد يصيب .

وسوف يظل ما حدث لغزا لعدة سنوات .

والكلمة النهائية لم يقلها أحد بعد .

وأحداث التاريخ وحده وما سوف تصنعه أمريكا هو الذى سوف يجاوب ويقول الحقيقة .. وما تفعله الآن بالعالم يؤكد أكثر وأكثر هذا الافتراض ..

إننا أمام شىء أشبه بلعبة الأمم .. لدرجة جعلت البعض يقول إن الكارثة مصنوعة من أولها إلى آخرها لتظهر بهذه الصورة الكارثية لتسوغ لأمريكا أن تفعل أى شىء وتبطش على أى صورة بما تريد وبمن تريد .. وكما استعملت أمريكا بن لادن فى الماضى فى حربها مع الروس .. ممكن أن تستعمله مرة أخرى فى حربها الجديدة .. وستكون فرصة مواتية له لتلميع إمكانياته والدعاية لأفكاره .. وكانت أحاديثه بالفعل كلها دعاية لنفسه .. وحربها عليه كانت تلميعا بمثل ما كانت تنكيلا ..

وما حدث .. أن جميع أدوات الأوركسترا تعاونت لتلعب على أعصاب العالم كله معزوفة واحدة .. مع نفس أفراد الكورس القديم وبنفس آلياته لتعطى الذراع الأمريكية الفرصة لتطول الكل ولتنكل وتبطش بمن تشاء ولتنسف وتخسف وتدمر دون أن يلومها لائم ..

ولا أعجب أن يكون كل هذا التخطيط قد خرج من دماغ جورج بوش الأب والداهية مدير المخابرات الأمريكية السابق وصانع مؤامرة حرب الخليج التى استدرج فيها صدام حسين إلى حرب كانت فيها نهايته .. وكانت فيها سقوط الثروة البترولية العربية فى أيدى الأمريكان والتحكم فى أسعار النفط إلى آخر الدهر .

ومنذ هذا التاريخ أصبح من دأب الأمريكان تسخيف أى كلام عن أى تفكير تآمرى يحاول أن يفكر فيه العقل العربى .. والرد الجاهز

دائما .. أن الكلام عن التآمر والمؤامرة هو من سمات العقلية العربية التافهة .

والسبب مفهوم ..

إنهم يريدون إبعاد الأذهان عن هذا اللون من التفكير الذى سوف يكشف مخططاتهم وسوف يجهض أطماعهم ..

ولهذا السبب كان لابد أن تختفى السفيرة الأمريكية إبريل جلاسبى التى استدرجت صدام حسين وشجعته وطمأنته على الشروع فى الهجوم على الكويت .. وألا يظهر لها أثر وتختفى من الدنيا كلها بعد ذلك وتبلعها الأرض .

كان لابد أن تختفى إبريل جلاسبى من الوجود .. لأنها مفتاح عملية التآمر ودليلها وبرهانها .

ومحظور علينا أن نتكلم بمنطق المؤامرة .. أما هم فتاريخهم كله سلسلة من التآمر على جميع المستويات .. وسلسلة من الحروب على جميع الأصعدة ..

ورحلة دموية طويلة عبر الأطماع والمصالح بطول استعمار تاريخى أبدى تتغير أساليبه ووسائله .. ولا يتغير هدفه .. الدائم والواحد .. وهو استنزاف الموارد ونهب الثروات والاستيلاء على الأرض وعلى كل ما يخرج منها وكل ما يسكن فيها وكل ما يختفى فى باطنها وكل ما يمشى على سطحها .

عصابة من الأذكياء تعمل بطول التاريخ وعرضه لها وجه أوروبى متحضر ولسان يقطر بالعسل ويحفل بروايات الحب ومعارض تحفل بالجديد فى كل علم ومسارح تحفل بالجديد فى كل فن ومكتبات تزخر بالطريف من كل أدب .. وجه حضارى أخاذ جذاب مضىء ..

لكن اللباب والقلب أسود سواد الليل تعوى فيه الذئاب وتسرح فيه أسود الغاب .. وفى لحظة واحدة ينقلب المشهد إلى دبابات وقاذفات قنابل وبوارج وغواصات وراجمات صواريخ .. ومشاهد دامية مثل ما نرى فى أفغانستان .

وتسقط إمبراطوريات .. وتولد إمبراطوريات .. وتشيخ نظم .. وتتهاوى حكومات .. ولا شىء يدوم فى هذا البحر العاصف الخضم الذى يبتلع فى بطنه كل ما هو حى .

هل يدرك حكام أمريكا هذه الحقيقة البسيطة .. أن القوة لا تدوم للأقوياء ولا الصحة للأصحاء ولا الغنى للأغنياء .. وأن التاريخ سوف يطوى الكل ولن يبقى من سيرهم إلا صحائف وأخبار وشواهد قبور .

هل يدرك الفيل حينما يدوس النملة أنه سوف يقع يوما ما وتدوسه أفيال أقوى منه .. وأن كل شىء فى حركة دائمة وجريان مستمر .. وأن العظمة لا تدوم لأحد إلا للعظيم بذاته .. الله تبارك وتعالى .

يقول الفلكيون أن هناك نيزكاً قد أفلت من منطقة النيازك بين كوكب زحل وكوكب المشترى وأنه فى طريقه إلى نطاق الجاذبية الأرضية ..

وإذا دخل هذا النيزك إلى نطاق الجاذبية الأرضية .. فلن يفلت منها .. وسوف يقع فى أسرها ويكون مصيره الحتمى هو الاصطدام بالأرض بقوة كارثية .

أين ؟ وفى أى منطقة سوف يقع .. وبأى قارة .. وبأى محيط سوف يصطدم ؟ الله وحده يعلم .. وفى كتاب « الجفر » لسيدنا على بن أبى طالب نبوءة بأن هذه الكارثة سوف تحدث ..

وإذا حدث ووقع هذا النيزك على أمريكا لن يكون بمثابة القنبلة ٧

أطنان التى ألقت بأعداد منها على أفغانستان .. وإنما ستكون الصدمة والانفجار بعزم واندفاع وقوة قنبلة من عدة ملايين وربما عدة تريليونات من الأطنان .. وبقدرة تفجيرية تحول منطقة واشنطن ونيويورك وربما كاليفورنيا كلها إلى جذاذات وشراذم .. ودوامات من الزوابع والأعاصير التى سوف تنشأ من التصادم سوف تتطاير لها العمارات وناطحات السحاب إلى جلاميد من الطوب والحصى فى الفضاء .. وحرارة التصادم سوف تشعل الغابات وتضرم بها النيران وتغلى من حرارتها مياه المحيطات .

وسوف يحدث كل هذا فى لحظة زمان .

ولا توجد وسيلة للنجاة بأساليبنا المعروفة .

الله وحده هو باب النجاة .

ولن ينجو أحد إلا بصلاة مقبولة وبأمر إلهى .

فهل يقبل ربنا صلاة الذين يقتلون الألوف من الأطفال والأمهات بالقنابل العنقودية المحرمة دوليا وينسفون الألوف بقنابل ٧ أطنان ويهدمون البيوت ويحرقون القرى ويدمرون المستشفيات على مرضاها ويحرثون الأرض وما عليها عدة مرات وجهارا ونهارا .

سؤال أرجو أن يفكر فيه كل أمريكى .

وأرجو أن يفكر فيه كل واحد منا فنحن جميعا من سكان هذه الأرض معرضون لهذا النيزك القاتل ولا يعلم أحد فى أى قارة سيقع ولا بأى دولة سينفجر .

والكارثة القادمة ستكون بمقاييس فلكية ..

والموت سيكون بأرقام فلكية .

والدمار سيكون بأحجام فلكية .

ولا توجد وقاية تمنع المقدور .

ولا نجاة إلا لمن رحم ربك .

هل هى عاد الثانية التى ألمح إليها القرآن حينما قال عن رب العالمين .

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) ﴾ [النجم: ٥٠]

فكانت إشارة قرآنية من طرف خفى إلى عاد ثانية .. ينزل عليها العقاب الذى نزل بالأولى

الله وحده يعلم ..

واللبيب هو من يقرأ بقلبه ويتقى المحذور بأعماله ويترفق بالخلق ويحسن إلى الأرملة والعجوز والطفل وينشر الخير والمحبة والرحمة والإحسان حينما حل ..

تذكروا يا سادة أننا جميعا عبيد إحسان . . و أننا لسنا حكاما وإنما نحن جميعا محكومين ومرؤسون ومسخرون لمشيئة واحدة هى مشيئة رب العالمين . . وأن حرياتنا مستعارة منه . . ابتلاء واختبارا وامتحانا . . وأن حياتنا سلفة وقرض لأجل معلوم .

جفت الأقلام . . ووطويت الصحف . . وبقيت مشيئة الذى لا يغفل ولا ينام

هل تريدون برهانا آخر على افتعال هذه الأحداث الرهيبة التى حدثت فى الحادى عشر من سبتمبر . . إقرأوا معى آخر خبر جاءت به صحيفة الحياة . . إن أمريكا قدمت ٨ مليارات دولار لأوزبكستان لتسمح بتمركز القوات الأمريكية بصورة دائمة فى هذا البلد المطل على بحر قزوين . . إن الخطة مرسومة إذن وعين الشركات الأمريكية على ماتحت قاع بحر قزوين . . على نفط بلا حدود . .

وذهب أسود بلا نهاية .. والحرب مخططة من البداية .

وكان لا بد إذن أن تحدث تفجيرات ١١ سبتمبر .. وأن تُتهم أفغانستان وطالبان وأن تنتقل القوة العسكرية الأمريكية بكاملها .. إلى مقربة من الحلم الجديد ..

هل كنت أهذى .. ؟؟!!

أم هى عين الحقيقة .

ولكن أمريكا الآن تحلم بما هو أكثر .. إنها تريد أن تصادر فكرة الجهاد الإسلامى وتقتلعها من جذورها والمجاهدون المئتان من المسلمين الإنجليز الذين ذهبوا إلى أفغانستان للحرب مع إخوتهم الأفغان اتهمتهم المحاكم البريطانية بالخيانة العظمى .. وهم مهددون الآن بالإعدام .. وهذا ما فعله جنود التحالف حينما أبادوا الأفغان العرب الأسرى رميا بالرصاص فى قلعة جانجى .

لماذا لم يُتهم اليهود البريطانيون الذين تطوعوا للحرب مع إسرائيل بالخيانة العظمى هم الآخرون ..؟؟!! أم هو الكيل بمكيالين ؟؟ بل عندهم ألف مكيال .

والعرب الذين حاربوا مع الأفغان (تعليمات أمريكا لجنود التحالف الشمالى بخصوصهم أنهم يُعدمون) .. لأن الجهاد رذيلة إسلامية يجب استئصالها .. ليأمن الأمريكان والإنجليز على أنفسهم.. وهذا ما فعله جنود التحالف الشمالى بالأسرى فى قلعة جانجى .. حينما أبادوهم عن بكرة أبيهم هم والمتطوعين الأجانب الذين يحاربون معهم .. أكثر من ٥٠٠ قتيل .. مذبحة مروعة ..!!

والأمريكان والإنجليز هم وجهان لعملة واحدة .. والثنائى الأنجلو أمريكى هو الإستعمار بكل تاريخه وجبرته .. والجهاد الإسلامى فى

نظر هذا الثنائى الاستعمارى هو الإرهاب الذى لا بد من سحقه والقضاء عليه .

إن حلم أمريكا أن تكون الروم .. وأن يكون الأمريكان هم الرومان الجدد وأن يحكموا العالم إلى نهاية تاريخه .

وتعليمات رامسفيلد القائد الأعلى للقوات الأمريكية .. لا أريد أسرى .. بل أريد قتلى .. أريد أمواتا ..

وهذا ما فعلته القوات الأمريكية فى مذبحة قلعة جانجى .

شهادة خزى وعار للقائد السفاح ..

هل ينجح الثنائى الأنجلو أمريكى فى حكم العالم وفى القضاء علي الإسلام .. وفى رفع راية « لا عظيم إلا أمريكا » ..؟!

إن النيزك المنتظر ما زال يتجول فى الفضاء .. ولم يدخل بعد إلى مجال الجاذبية الأرضية ..

فهل تدفعه يد القدر الإلهى إلى هذا الحرم المصون وإلى فلك الدر المكنون .. ليعلم كل من لا يعلم .. أن إرادة الله وحده هى التى تحكم هذا العالم وإلى أى بقعة من الأرض سوف توجه اليد الإلهية .. هذا النيزك ..؟!!

وهل تقوم قيامة العالم كله .. أم قيامة الظالمين المستعمرين وحدهم.

ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا .

ربنا إنك أنت علام الغيوب .

ربنا لا أدعى علما فقد تخطىء كل هذه التصورات .. وما أنا إلا عقل حائر .

ولكن سوف تبقى حقيقة واحدة مؤكدة لا تطولها الظنون .. أن

أمريكا قد أحسنت استغلال هذه الكارثة أيا كان سببها واستثمرتها أفضل استثمار لتركب على ظهر العالم وتقوده بالكرباج إلى ما تخططه وتريده ..

ولكن ..

ما كل مرة تسلم الجرة ..

وقد يكبو الجواد الفحل كبوة لا يقوم منها ..

وما طار طير وارتفع .. إلا كما طار وقع ..

ولا أتمنى الدمار لأحد ..

ولكن .. أليس الموت نهايتنا جميعا .

وأليس ما بعد الموت .. أكثر إثارة للرعب من كل هذا ؟!!

ربنا نسألك اللطف والمغفرة .

ورجوعا إلى شريط التسجيل الذى وزعته أمريكا لنستمع إلى ما يقول بن لادن أقول إنى استمعت إلى الشريط والصوت فيه مطموس والنبرات غير واضحة وبالتالى الترجمة مختلفة عن النص واحتمال الفبركة وارد .. وهو فن يتقنه الأمريكان ولا ينافسهم فيه أحد .

وسوف تظل الحقيقة غائبة .. ربما لما يتبقى من هذا القرن .

وأين هو الصوت الذى يمكن أن يعلو على الإعلام الأمريكى المكتسح المدوى .

لقد لعبوها بأستاذية ووضعوا الجرس فى رقبة الأفغان .

وماذا يستطيع الفأر الهزيل المحاصر أن يفعل .

لم يبق له إلا أن يستسلم ويلقى سلاحه .

ولا أدعى أنى عرفت الحقيقة فاللغز ما زال عصيا وقد يخطىء الحدس .. وقد يكون اليمين الأمريكى هو اليد الخفية التى فعلت كل

هذا .. وأن الذكاء الانتهازى الأمريكى هو الذى استثمر ما حدث لصالحه فقام باتهام بن لادن وعصابته واستولى على أفغانستان ودفع بالجيش الأمريكى إلى شواطىء بحر قزوين .. وقد يكون الفاعل كوكبة من الشباب المسلم من اتباع بن لادن كما أدعى فى أحد أشرطته المسجلة .. الله وحده يعلم ..

ولا نملك إلا اجتهادا قد يخطئ وقد يصيب .

وفى حدود المعلومات المتاحة مازال الجزم مستحيلا .

على حافة الزلزال

توابع ما حدث في أمريكا

٢

ما حدث فى أمريكا من هجوم بالطائرات المدنية وتفجير للمبنى الشاهق الذى يحلق فى سماء نيويورك .. « مركز التجارة العالمى » .. الذى يحج إليه السواح كعلامة باهرة للتفوق والإعجاز المعمارى .. وما أعقب ذلك من ضرب البنتاجون واضرام النار فى وزارة الدفاع .. وهى مظاهر القوة والزهو والإنجاز والإعجاز المبهر بالنسبة للمواطن الأمريكى .. ما حدث ساعتها كان يحمل معه أكثر من مجرد التخريب والهدم .. كان يحمل معه معانى الإهانة والتشهير بالتعالى والغرور الأمريكى .. وكأنما إراد المهاجمون أن يقولوا إن هذه العملقة والعنجهية والعظمة هى عظمة جوفاء فارغة من داخلها لا تحتوى إلا على هواء .. وهاهى بالفعل تتهاوى إلى تراب وأنقاض .

وما حدث من الأطراف الأمريكية بالإسراع بتوجيه الاتهام إلى الجماعات الإسلامية وإلى بن لادن بإيعاز من إسرائيل كان هو أيضا إسرافا فى الاتهام من الجهة الأخرى .. وقد تواكبت هذه الاتهامات مع هجوم شارون على « جنين » وإعمال القتل فى الفلسطينيين أطفالا وشبابا وشيوخا وهدم البيوت على ساكنيها .. وكان ذلك منه استثمارا رخيصا للمناسبة لاحظه الكل .

وليس صحيحا أن ما حدث كان من عمل جماعات إسلامية .. ولا أظنه مؤكدا أنه كان بأيدى جماعات بن لادن .. فالعملية كانت على درجة فائقة من التنظيم والإعداد بالدقيقة والثانية وكان الأداء فوق مستوى الحسابات الأمريكية ذاتها .. وكان المهاجمون ينفذون نصا مدروسا بمهارات فائقة .. وكان هذا رأى جهات التحقيق نفسها .. وما عهدنا مثل هذا فى أداء جماعات بن لادن .. وإرهابها .

والعملية انتقامية من أولها إلى آخرها .. وهى تعود إلى ثأر قديم من أيام مرحلة حكم كلينتون .. وما حدث وقتها فى واكو تكساس مع جماعة « الداوديين » بزعامة دافيد قريش وهى جماعة من المسيحيين السبتيين الـ ADVENTIST وهم من أتباع كنيسة السبت التى تؤمن بقرب المجىء الثانى للمسيح ولها أصول عبرانية يهودية .. وهى ترى أننا على أبواب يوم القيامة .. وقد هاجمت قوة من الـ FBI هذه الجماعة بتهمة حيازة أسلحة بدون تراخيص .. وكان هجوما فاشلا أدى إلى مقتل ستة من أعضاء الجماعة ومقتل أربعة من المهاجمين .. وأعقب ذلك الهجوم بالغاز المسيل للدموع .. وحدث أن انفجر الغاز واشتعل حريق هائل مات فيه دافيد قريش ومعه ٧٥ من أتباعه ومعهم ٢١ طفلا اختناقا وحرقا وكان ذلك فى ١٩ ابريل ١٩٩٣ .. واضمر من تبقى من الجماعة حيا أن ينتقم أشد الانتقام وأن يشهد الأمريكان يوما أسود لم يشهدوا مثله .

وكان الفصل الثانى من هذا المسلسل هو مافعله تيموثى ماكفاى من تفجير أوكلاهوما الشهير الذى دمر مبنى أوكلاهوما بالكامل وقتل فيه المئات ..

وتيموثى ماكفاى كان هو الآخر من نفس جماعة الداوديين

الـ **ADVENTIST** وكان من جماعة الحاقدين والغاضبين المقهورين الذين اقسموا على الانتقام لما حدث لإخوانهم .

واستطاعت المباحث الفيدرلية أن تضع يدها على تيموثى ماكفاى و تحكم عليه بالإعدام.. وشاهدنا إعدامه بالسم فى التليفزيون الأمريكى .. وكان هذا حافزا آخر لدفع عجلة الانتقام إلى عمل انتقامى أكبر هو ذلك الحدث الإرهابى والكارثى الذى وقع يوم الثلاثاء الأسود وشاهده الملايين فى جميع الفضائيات .

وكان مارأيناه فى نيويورك وواشنطن من التفجيرات الأخيرة هو الفصل الثالث والأخير من هذا المسلسل الانتقامى الذى شاهدناه فى هذا اليوم المشئوم على شاشات التليفزيون .

والاحتمال الأكبر انه اليمين الأمريكى ذاته هو الفاعل .. وأنهم جماعة الداوديين الـ **ADVENTIST** وأنهم جماعة اليمين الأمريكى المعارض للنظام الحاكم فى أمريكا .. الذين أقسموا أن يذيقوا الأمريكان أسود أيامهم .. هذا هو الاحتمال الأقرب . والله أعلم .

والاحتمال الثانى الذى أخذت به القيادة الأمريكية أنه الانتقام الإسلامى من المساندة الأمريكية لإسرائيل التى تجاوزت الحدود ووصلت إلى تزويد الأداة العسكرية الإسرائيلية بطائرات الفانتوم ١٦ وإغماض العين عما تفعله من نسف وخسف وقتل للأطفال وإحراق للزرع والضرع وتهديم للمدن والقرى وتجريف للأرض فى قساوة وغلظة تجاوزت الحدود .. وأنها يد بن لادن الطويلة التى حاولت أن تعدل الميزان بعقاب فورى للأمريكان .. وهو إحتمال بعيد فليست هذه إمكانيات بن لادن ولا مستوى أدائه .

واقتناع القيادة الأمريكية بهذا الإحتمال سوف يدفعها إلى الوقوع

في ظلم فادح .. وإسرائيل بوقوفها بكل ثقلها وراء هذا التفكير ودفعها لأمريكا إلى حرب انتقامية ظالمة من المسلمين سوف تنتهى بالعالم إلى كارثة مؤكدة ..

وإسرائيل كالعادة لا تسعى إلا إلى خراب العالم وتدميره وهى عدوة لدودة لكل ما هو إسلامى .

ويبقى احتمال آخر بعيد أنها عملية يابانية انتقاما لضرب اليابان بالقنبلة النووية فى هيروشيما .. ولم تكتف أمريكا بما حدث فى هيروشيما من تدمير شامل كامل .. ولا هى اكتفت باستسلام هيروهيتو .. ورفعه للراية البيضاء .. بل ألقت بالقنبلة الثانية على ناجازاكى . إمعانا فى التشفى .. وما زالت الشبيبة اليابانية تحمل فى قلوبها مرارة هذا اليوم الأسود .. ولكن افتراض أنها ترد الآن وبعد كل هذه السنين .. افتراض بعيد .

وفى هذا الجو من الشك المسموم والظنون السوداء .. تتخبط الإدارة الأمريكية بين الفروض والاحتمالات .

والحليف الإسرائيلى بكل أحقاده يدفع بها إلى ضرب المسلمين وترويعهم وإعلان الحرب عليهم .. وعلى من ؟.. على شعب الأفغان الفقير الجائع الذى أهلكته الحروب .. !! وهو يدفع بالغضبة الأمريكية فى إصرار نحو بن لادن .

أمريكا بكل جبروتها وقوتها وعملقتها تلقى بقنابلها على الأفغان الجياع الذين يسكنون الخيام .. كيف ؟!! وبدون دليل ولا برهان .. هذه فضيحة .

إنه الظلم الذى يفوق التصور !!

ويقول بن لادن .. حليف الأمس الذى أعان اليد الأمريكية على طرد

الروس من أفغانستان .. نحن أبرياء من الدماء التى سالت فى هذه المذبحة .. ولتفعل أمريكا ما تشاء .

ماذا سوف نخسر ؟!.. إننا نعيش فى خيام بالفعل ونأوى إلى خنادق ونبيت فى جحور .

نعم إن الأفغان لن يخسروا شيئاً .. فهم فى عراء الصحراء بالفعل لا تظللهم إلا خيام .

ولكن أمريكا هى التى سوف تخسر كل شىء .. إذا مدت يدها بسوء إلى هذا الشعب المناضل .. فسوف تحمل ظلما وإثما ليس بعده إثم .

وما زلت أعتقد أن ما حدث فى أمريكا ليس وارد الخارج .. وإنما هو عمل انتقامى نابع من الداخل من الصراعات فى الداخل الأمريكى ذاته .. وما زلت أعتقد أنه بتدبير وتفعيل اليمين الأمريكى وأنه من تصنيع حزب الداوديين نفسه .. وفى أدبيات هذا الفريق وكتبهم ما يشير إلى هذا اليوم الموعود .

اقرأوا هذه السطور فى كتيباتهم ومنشوراتهم .

انتظروا يوم تأتى الأفاعى الستة الطائرة تبصق النار من أفواهها لتطهر الأرض من فسادها وأدناسها وتقضى على الظلم والظالمين وتشيع العدل والمحبة بين الناس .

ما هذه « الأفاعى الستة الطائرة » التى تبصق النار من أفواهها .

أليست هذ الرموز الباطنة للطائرات المدنية الستة التى تبصق النار والدمار والتى قادها هؤلاء الإرهابيون الثائرون لهدم رموز هذا العالم الظالم الذى تصوروه .. وفى عبارات أخرى .. يقول .. استعدوا .. استعدوا .. استعدوا .. (استعدوا لماذا ؟!!) .

إنه حلمهم القديم وكابوسهم المسيطر الذى كان يلح عليهم طول الوقت بهدم هذا العالم ونسفه من جذوره ليأتى الزرع الجديد اليانع يزدهر بالعدالة والمحبة .

تلك كانت أحلامهم وقد حققوها ..

إنها الأيدى الأمريكية ذاتها .. والفئات الغاضبة المكبوتة فى داخل أمريكا ذاتها ..

والكوابيس الأمريكية .. والصراعات الدموية فى داخل القارة الأمريكية بين الحكومة وفئات الشعب .. نراها مجسدة فيما يحدث ..

والدقة البالغة فى التنفيذ تبوح بحقيقة الأيدى التى نفذتها ولا يستطيع تحقيق هذا المستوى من الأداء إلا أيد أمريكية محترفة تعرف كل أسرار الطائرات وقيادتها وتعرف ممرات الطيران فى السماء الأمريكية فى كل ساعات الليل والنهار .

إننا أمام حبكة أمريكية متقنة وتنفيذ محكم وأداء رفيع .

فكيف نمسح كل هذا فى بن لادن .. إلا أن تكون فتنة إسرائيلية .. ومكيدة مدبرة .. وفرصة لتلطيخ وجوه المسلمين بكل مصيبة .. وهم لا تفوتهم أبدا مثل هذه الفرص .. ونقرأ أنهم سوف يضربون اليمن والعراق والسودان ولبنان .. هل هو مزاد مفتوح للقتل ؟!! أم إنه مجرد تلطيش ..

وما نعرضه هى أفكار وبدائل للتأمل قبل أن تشتط الأيدى الأمريكية المتسرعة فتطيح بأبرياء لا ناقة لهم فيها ولا جمل ..

إن مهنة القتل مهنة فظيعة والخطأ فى القصاص وإصابة الأبرياء أفظع .

وأرجو للأيدى الأمريكية الا تتسرع وألا تقتص من أبرياء لا دخل لهم فيما حدث .

واذكرهم بأن ظلم برىء واحد تنهد له السموات .

اطفئوا هذا الغضب وتريثوا قليلا ولا تصدقوا الوشايات الإسرائيلية .

فكروا قليلا قبل أن تمدوا أيديكم إلى برىء .

وللعلم فإن كل المعلومات الواردة فى المقال مأخوذة بنصها من مواقع فى الإنترنت ويمكن ان يتحقق منها اى قارىء عنده كومبيوتر ويملك وسيلة للاتصال بالإنترنت .

والمواقع هى :

Divid korech http/www. cyrusproductions, com/vernon, htm

Branch davidians httpllwww. sto/af.edu/people carringt/30-214 branch dividians htm

The massacre of the branch Dividions (in parts) httpoldster future easyspace com/waco 04ht ml

ابحثوا ونقبوا وراء الأخبار .

لا تقفوا عند التصريحات والبيانات الرسمية .

اخرجوا تاريخ الأحداث من أحشاء الإنترنت وسوف تصلون إلى الخلفيات الإجرامية للسياسة الأمريكية وإلى الثنائى التآمرى الذى يدير دفة العالم .. الموساد .. وقلعة المخابرات الأمريكية الـ CIA .

وأقول لكم فى ثقة .. رغم كل هذه التعمية والتضليل سوف يظهر الحق وينتصر .. لأن الله هو الذى يحكم هذه الدنيا .. وليس شارون ولا بوش .

وسوف يعلو الحق رغم كل شىء .

على حافة الزلزال

٣

هل هو انتحار للحضارة المادية ..؟

■ بعد الدعوى العريضة والتهمة التى أطلقها الأمريكان على الأفغان بأنهم رأس الأفعى فى ليلة الثلاثاء الأسود وأنهم هم بعينهم الذين خططوا ونفذوا خطف الطائرات المدنية وتفجير مركز التجارة العالمى وهدم البنتاجون .. وبعد أن أرسل الأمريكان أفواج قاذفاتهم وأسراب مقاتلاتهم لتدك معاقل ذلك الإرهاب الأفغانى الآثم فوجئنا بقرى بدائية وشعب مهلهل وفلاحين معدمين لا يملكون اللقمة ولا يحتكمون على شربة الماء .. وكانت عدسات التصوير تتجول عبثا بين أنقاض والكاميرات تتحسس طريقها بين خرائب وجدران متداعية .

ورأينا الخرائب تتطاير جذاذات فى الهواء بفعل القصف الهمجى ورأينا القنابل والرصاص والنيران تفترس هذا السرب المضيع من المعدمين هم وأطفالهم .. فلا تُبقى لهم أثرا .. وانقشع دخان المعركة بلا معركة فلم يكن هناك إلا طرف واحد .. يتمزق إربا ..

هل هؤلاء هم الإرهابيون الذين حشدت لهم الحكومة الأمريكية كل تلك الطائرات والقاذفات والدبابات والمجنزرات والبوارج وراجمات الصواريخ والمدافع وأطلقت عليهم كل هذه الدواهى .

هل هؤلاء هم بن لادن ؟!! وعصابته .. هل هؤلاء هم الطيارون العباقرة الذين قادوا طائرات الـ PAN AMERICAN وصنعوا بها الخوارق والأعاجيب ..؟؟!! كوميديا تحفة والله .. الطائرات الأمريكية تلقى بأكياس الدقيق والحلوى على الأفغان مع القنابل الحارقة .. إنسانية عجيبة .. تطعمهم وتقتلهم .. هل فهمتم شيئا .

وسمعنا القيادة العسكرية الأمريكية من مكتب رامسفيلد .. تقول برقة شديدة .. إن رمضان قادم ونحن نحترم ما لهذا الشهر الكريم من قداسة .. ولكنا نأسف أشد الأسف فقد نضطر إلى الضرب فى رمضان لأن الفسحة الباقية للعمل قصيرة والشتاء سوف يهجم علينا وسوف تكتسى الأرض بالجليد وسوف يستحيل العمل .. وعلى الجميع التحسب .. ومراعاة الظروف .

شكر الله سعيكم .

ماذا نرى .. وماذا نشهد .. ؟!!

هل هو مسرح عبثى .. هل هو فصل من فصول ملهاة سوداء لبيكيت عن اللامعقول .

بل هو اللامعقول بعينه .

ولكن الستار لا تنزل .. والعرض مستمر .. والقتلى يسقطون .. والأطفال العطاش يبكون .. ومقطعو الأيدى والأرجل يزحفون .. والموتى استقروا فى أكفانهم وأخلدوا إلى التراب .. وأكياس الدقيق سقطت متناثرة فى الصحراء .

إن ما نراه ليس ملهاة ولكن صفحة من صفحات الواقع المرير فى دنيانا .. وفى واقع العولمة سنة ٢٠٠١ تحت مسمى .. الحرب على الإرهاب .. المعلنة على بن لادن .. من أمريكا .

وهو رد على الهجوم الإرهابى الذى حدث فى الحادى عشر من سبتمبر على واشنطون ونيويورك .. لكن ما نراه هو الإرهاب بعينه وما هو أسوأ من الإرهاب وقد اتسع ليشمل الدولة القطب بكل جبروتها وأسلحتها وهى تنقض على شعب مهلهل جائع عريان .

والمشهد نفسه يقلب كل المعايير وينقلب بالسلب على الحجج الأمريكية ذاتها .. التى تتحول أفعالها إلى فضيحة لا تليق بالعظماء الأقوياء .. ولا تجدر بالكبار الأماثل .

وأكاد أشعر أن تشجيع إنجلترا ومؤازرة فرنسا وتأييد ألمانيا لأمريكا فى حربها وموافقة الصين وسكوت روسيا هو استدراج ماكر لينزلق الأمريكان أكثر وأكثر إلى فخ قاتل تكون فيه نهايتهم .

هناك شماتة .. حتى اليمين الأمريكى ذاته يبدو أنه شامت فى المطب الذى وقعت فيه الحكومة الأمريكية والذى أوقعت فيه نفسها .. وهناك شبه اتفاق من جميع الفرقاء على دفعها أكثر وأكثر لتتورط أكثر وأكثر وتنغرس قدماها فى الرمال الناعمة وتغوص إلى رقبتها بلا أمل فى نجاة .. حتى الإسرائيليون الخمسة الذين ضُبطوا وهم يرقصون فرحا وهم يشاهدون أبراج مركز التجارة العالمى تحترق وتنهار .. حتى هؤلاء اليهود الذين ضحت أمريكا فى سبيلهم بكل شىء حتى بسمعتها .. حتى هؤلاء اليهود كانوا أول الشامتين .. وهذا دائما شأن القوى والفتوة المحسود من الجميع الذى يتمنى الكل هزيمته .. حينما يقع فى شر أعماله .

إنه ضعف إنسانى وغريزة نفسية مقيتة سببها الغيرة والحسد .

هل تعلم أمريكا بهذا المطب القاتل الذى تسعى إليه فى غفلة وثقة زائدة فى النفس .

لا أظن .. فالمغرور بقوته .. هو فى العادة آخر من يعلم .. لأنه لا يسمع إلا دوى التصفيق والإعجاب بقوته وجبروته وعظمته ولا يرى إلا التهليل لجلالته .

وهو فى العادة لا يفتح عينيه على الحقيقة إلا بعد فوات الأوان .. وبعد أن يكون قد غاص إلى رقبته فى الرمال .

وأول من يهيل عليه الرمال ساعتها سيكون فى العادة أقرانه ومنافسيه ورؤساء الدول الكبرى وأعضاء مُجمَّع العظماء الذين يجالسهم ومنتدى الكبار أهل الكلمة النافذة والسلطان .

وينسى العظماء دائما أن العظمة لا تدوم وأن لعبة الكراسى يتبدل فيها الجالسون ولا يدوم فيها العرش لأحد .

ولا يدوم العرش إلا لواحد هو الملك الحق القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الذى له الأسماء الحسنى .. هو وحده الذى له الدوام وعرشه فى الغيب وهو وحده الذى يضع الملوك ويخلع الملوك .. ويخلق بكلمة ويميت بكلمة .

وهو وحده الذى له السجود .. وله الأمر كله .

والإيمان به هو الإيمان الوحيد الذى يورث الأدب والتقوى والخشوع والخضوع .

وهذا هو إسلامنا المتهم بالإرهاب .. فهل آن الأوان لجلسة تفاهم مع أصحاب الشأن قبل أن يطم الطوفان وتتعاظم الكارثة ويتسع الخرق على الراتق .

إننا نقول فى إسلامنا أن الرجوع إلى الحق فضيلة .. وإن الاعتراف بالذنب من صفات الكمل والأكابر .. وأن الذين تأخذهم العزة بالإثم هو الأدنياء الأصاغر أهل الجهالة .. وإذا كان هناك طرف

أذنب فهناك أطراف تهورت فى انتقام أعمى غير محسوب .. والكل خطاء .. الذين نشروا الإرهاب والرعب والذين أفرطوا فى الرد بهذه الوحشية دون تمييز .

وإذا استسلم الكل لردود الأفعال فالعاقبة هلاك ودمار بغير حدود.

احفظوا الكرامة للجميع فالكل آثم وعودوا إلى الحق فالحق أكبر منكم جميعا وأجل أبقى .

وكلكم خطاء وما انهارت مجالى حضارتكم وأبراج غروركم إلا بأفعالكم .

وأبراج واشنطن ونيويورك ليست أعلى من الحق .

وبوش ليس النبى المعصوم .

كفوا عن هذا الهراء فحضارة اليوم ثمرة جهاد أجيال وهى زرع أجداد ونبات قرون من الجهد والعمل .

ودعوا الانتقام فهو من صفات وحوش الغاب .

وتصافوا وتحابوا دون شروط فالكل آثم والكل خطاء .

أنقذوا أنفسكم من أنفسكم وتقاربوا وتصالحوا واتفقوا .

وإلا فإنها الحاقة والطامة وعاد الثانية التى لن تبقى ولن تذر .

هل أحلم بسيادة العقل وغلبة التسامح ؟

إن فقراء أفغانستان الذين تحصدونهم بقنابل الطائرات ليسوا هم الذين خطفوا الطائرات وقادوها بتلك التقنية العالية والمهارات المذهلة.. وما تقولونه وتروجونه هو استغفال لشعوب العالم كله .

لقد جمح بكم الغضب وأعماكم الانفعال وفقدتم أوليات المنطق وأساسيات البداهة .

أنتم تقتلون شعبا يكدح وراء اللقمة وأطفالا رضعا لا دخل لهم بما حدث .. وما تفعلونه هو الإرهاب الأعمى بعينه .. والصراخ الإعلامى عبر الإذاعات والصحف لن يكفى لترويج هذه البلاهة .

إنه الجنون مطلق السراح .

ولن يلد الجنون إلا الجنون .

ولن يشفى الحريق من الحريق .

إنه الانتحار للإعلام الأمريكى .. وللعسكرية الأمريكية .. وللسياسة الأمريكية .

وبداية النهاية لحضارة مادية غبية ضلت طريقها وأعمتها المصالح.

وإسرائيل الدولة العميلة تستغل الفوضى الموجودة لتسبح فى نفس الموجة وتقتل الفلسطينيين بالعشرات وتهدم بيوتهم وتجرف أراضيهم وترفض الانسحاب وترفض التفاهم وترفع راية العصيان أمام أكبر قوة .. وكأنها تقول .. اشمعنى احنا .. حرام علينا .. وحلال عليكم .. ولا تريد أن تخسر نصيبها فى موجة الانفعال الحاد.. والانتقام الوحشى .. بلا بينة وبلا دليل قطعى .. سوى التلويح بأن هناك دليلا .

أمريكا .. القطب الأعظم .. تتصدر هذه الموجة .. وتعطى أسوأ المثال لأتباعها .. وللعصر كله .

والقصة لم تنته بعد .. وهناك حقائق تتكشف عن جماعات من داخل أمريكا كانت وراء ما حدث .. والقصة لها ذيول .. والجمرة الخبيثة فرقعة أخرى جاءت من الداخل الأمريكى باعترافهم .

ومازالت القصة تتداعى فصولا .. ولا يدرى أحد ماذا ستكشف

لنا الأيام ولا يمكن الجزم بشيء على وجه اليقين .

والحكماء علمونا : « أن الظلم مرتعه وخيم » وأن عاقبته هى الدمار والخراب على مرتكبيه .

نعم يا سيادة .. القصة لم تنته بعد .. ولم يسدل الستار بعد .. وهناك قتلة لم يعدموا .

وهناك مجرمون لم يدفعوا ثمن جرائمهم .. وهناك سفاحون اغتالوا البراءة وقتلوا الأطفال وهربوا من القصاص وهناك من هدموا البيوت على أهلها وهدموا المدن على سكانها ولم تصل إليهم يد العدالة.

وهناك البعض الذى صعد سلالم المجد والرياسة على الأشلاء والجماجم والجثث .

نعم ياسادة .. القصة لم تنته بعد .

حتى الموت .. لن يكون نهايتها .. فهناك آخرة وحساب ودين فى الرقاب لابد أن يُدفع وميزان للعدل الأزلى لابد أن يُقام .

وبقيت كلمة العادل الذى لا تخفى عليه خافية .. حتى خفايا القلوب.. ومكنون الضمائر .. حتى السر المطوى فى الحنايا .

وحتى ما هو أخفى .. !! من كل ذلك ولن يفلت مجرم من جريمته.

فالحق الذى خلق هذا الكون لم يكن يلهو .

والمبدع الذى أبدع هذا الوجود المعجز الخارق لم يكن يعبث .

نعم .. بقى أن يلقى كل منا جزاء ما قدم وما صنع .. لتكتمل منظومة هذا الإبداع العجيب .

بقى جحيم الأبد .

أو نعيم الأبد ..

انا أعلم أن البعض يقرأ هذا الكلام وتتسع ابتسامته .

حسنا .. لا تعليق عندى .. ولا أرى ما يدعو إلى العجلة .

فالذى خلق هذا الكون هو أيضا خالق الزمن كله وهو يملك الزمن كله وهو ليس متعجلا وهو قد أراد برحمته أن تكون هناك مهلة قبل أن يهدم المحفل على أهله ويستدعى الكل للحساب .

فلننتظر ..

ونرى ..

وبورك من كان له قلب . وألقى السمع .. وهو شهيد .

على حافة الزلزال

٤

على حافة الـزلزال

سوف تمر سنون قبل أن يزاح الستار ويُعرف يقينا ماذا حدث يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر في نيويورك وواشنطن .. وفى أثناء هذه الأيام الضبابية.. لا شك أن أمريكا قد نجحت فى تغيير اتجاه البوصلة السياسية وفى جذب انتباه العالم كله واختطاف تأييده المطلق لكل ما تقوله ولكل ما تدعيه .. وفى اختلاق بؤرة ملتهبة التقت فيها كل الآراء.. اسمها الإرهاب الإسلامى .. انزلق إليها الفكر المعتدل .. ووقعت فيها أوروبا وتردى فيها أمثال بيرلسكونى إلى حماقات وأقوال هوجاء .. ما كان يمكن أن ينزلق إليها .. لولا الحبكة الدرامية للحدث.. والاحتشاد الإعلامى بكل طبوله لملاحقة السيناريو المحبوك لدراما الأبراج المنهارة والطائرات المشتعلة .. واتهام المسلمين جزافيا فى كل مكان وحيثما وجدوا .

وكان من المستحيل أن تخرج دولة عن الإجماع .. وإلا وضعت نفسها مع الدول المارقة .

والاختلاف فى الرأى أثناء هذه الحمى الإعلامية كان أمرا مستحيلا .

أفلحت أمريكا فى خلق هذه البؤرة المغناطيسية من الإجماع والتعاطف والإدانة .

ولكن الحقيقة كانت رغم كل هذه الظواهر أبعد ما تكون عن هذا الإجماع .

وما كان فى قدرة بن لادن أن يصنع شيئا مما جرى .. وهى حبكة تحتاج إلى دولة تكنولوجية من الطراز الأول .. وإلى امكانيات متفوقة وإلى تقنيات عالية ليست فى متناول أمثال بن لادن ورجاله .

ولأن كل خطة لها أهداف .. وكل هدف سوف يتضح فى وقته .. فإنى لن أتعجل الأمور وسوف أترك لفافة التريكو تفك اشتباكها بنفسها .. خيطا خيطا حتى تتضح بداياتها ونهاياتها .

ولن أتسرع إلى رأى .

ولن أتردد فى مناقضة ذاتى ولا فى مراجعة نفسى إذا اقتضى الأمر.

وأتمنى نفس الشىء للطرف الأمريكى .. أن يتريث ويتأنى .. ولا يبادر إلى الضغط على الزناد .. فالحق له هيبته وجلاله .. وهو أولى بأن نتعب فى البحث عنه .

والفارق كبير جدا .. بين مسرحية محبوكة .. وبين حدث تلقائى تتداعى حلقاته وتكثر فيه الفجوات وتحتاج إلى جهد مضنٍ لملء هذه الفجوات .. والخروج بسياق متصل ومعنى للأحداث وفهم منطقى لكيف حدث ما حدث ومن الفاعل .. وهل هم عصابة أم أفراد .. وماذا كانت الدوافع وماذا كانت الأهداف .. وكيف يتأتى لأمثال بن لادن ورجاله البدائيين التعامل بمثل هذه التقنية وبمثل هذه الإلكترونيات المتفوقة .. ومن أين لهم ذلك ؟!!

وهذا الانضباط العجيب بين حدث وآخر بالثانية وبأجزاء من الثانية ؟!

وقوائم ركاب الطائرات الأمريكية .. القوائم الأصلية كما صدرت عن الكومبيوتر وكلها لأجانب .. من أين جاءتها الأسماء العربية فجأة.. إلا أن تكون قد دست بعد ذلك دسا وافتعلت بدون أصل ولا سند .. وهذه القوائم من الانترنت وهى خالية تماما من أى اسم عربى.

إن هناك عملية استباق للأحداث .. وعمليات دس وتلبيس وتعمية لأطراف لها أغراض فى إشعال الفتيل وتأجيج النار .

وللأسف الشديد تأتى الأخبار وأنا أكتب هذه الكلمات بأن فرق الكوماندوز الأمريكية والبريطانية قد انطلقت فى صحارى أفغانستان لاصطياد بن لادن ورجاله أحياء أو موتى .. وأن الطائرات تجول والكاميرات تصور كل شبر وكل حجر وكل كهف وكل مغارة فى أفغانستان .

والشعار .. هو .. بن لادن حيا أو ميتا .

ومن قبل ذلك .. رفع الرئيس بوش شعار .. لنعلنها صليبية .. ثم عاد فابتلع كلامه حينما خشى اتساع الفتنة .. وراح يعتذر للمسلمين.. وزار مساجدهم ..

إن اندلاع النار فى الهشيم .. واتساع الخرق على الراتق .. هو احتمال وارد .

والعقل مطلوب.. والحكمة ضالة المؤمن .

والاعتدال فى كل خطوة هو الحل الأمثل .

واحتمال الخطأ فى الاتهام وارد وبشدة .

ورغم أن ما تفعله أمريكا من ناحية الاتهام يقابله من الوجه الآخر معونات غذائية بالملايين ترسلها الطائرات المدنية لأهالى أفغانستان

وشعبها الذى يعانى من الجوع وسوء التغذية والأمراض المتوطنة والإسهال والدوسنتاريا الأميبية .. وهى إنسانيات نرجو أن تستمر .

ونرجو أن تتغلب هذه الإنسانيات فى النهاية .. فإن هذا يدل على مراجعة النفس وعلى إدارك الأطراف لاحتمال الخطأ .. ويدل فى النهاية على أن الجنون ليس مطلق السراح .. وأن الأحقاد لم تحتل الساحة كلها بعد .. وأنه مازالت هناك قمرة يدخل منها النور فى السفينة المظلمة التى تتقاذفها الأمواج .. وأن الأحكام القطعية التى تتداولها الصحف يشوبها الشك والريبة رغم ما يكتب ويقال ..

هل تتغلب الحكمة وينتصر الاعتدال ؟ ويكتشف العماليق والجبارون أنهم يخطئون وأنهم يمرضون ويموتون كخلق الله .

إن الكبرياء والعظمة هى قرائن الجبروت والقسوة .. وهى التى تملأ العقل بأوهام القوة .

والغرور بامتلاك الأسباب وكمال العلم ووفرة الثراء هى التى تنفخ فى النفس هذه النفخة الإبليسية من الكبر.. فيقول الواحد منهم كما كان يقول قوم عاد .. من أشد منا قوة ؟! وذلك منتهى الغرور بالقوة .

وقد قالها بوش الابن .. إننا أقوى دولة على وجه الأرض .. كما قالها فرعون من قبل .

وجاء القرآن الآية خمسين من سورة النجم عن الله .. إنه أهلك عادا الأولى .. فهل هذه الآية هى إشارة لعاد ثانية تأتى فى آخر الزمان ويجرى عليها ما جرى على الأولى .. (وكلمة عاد دلالة على العود).. وفى الكلمة دلالة بلاغية بانطباق الحال على المقال .

هل أمريكا التى ملكها الله مقاليد قارة بأسرها وأفاض عليها بالثراء والوفرة وفتح عليها ألوان المعارف والعلوم .. هى عاد الثانية.

وهل سيجرى عليها ما جرى على الأولى .. يقول القرآن فى سورة القمر .. والذاريات :

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢]

في سورة القمر ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ [القمر: ١٨ - ٢١]

وفى سورة الحاقة :

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) ﴾ [الحاقة:٥-٨]

وفى سورة الفجر :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]

وفى سورة فصلت :

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) ﴾ [فصلت: ١٥]

وفى سورة هود :

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) ﴾ [هود: ٥٩]

إن قوم عاد يمثلون دورا محوريا فى القرآن .. وهم يمثلون رموز الوفرة والغنى والثراء والعلوم والمعارف والإنشاءات العملاقة والقوة المادية والفقر الروحى .. والعلو والتسلط والسيادة على الآخرين .. وكل هذا نجده فى أمريكا اليوم .

وأمريكا اليوم تقود النظام العالمى الجديد وعلى ظهر ورقة الدولار تجد صورة الهرم والعين المسيطرة المطلعة .. وكلمة النظام العالمى الجديد باللاتينية Novus ordo seclorum .. والعين هى رمز السيطرة والهيمنة والرقابة والهرم رمز مصر الفرعونية فى العالم القديم .. وهو رمز السلطان والتفرد ولا شك أن أمريكا هى رمز القوة والسيادة فى العالم الحديث .. فإذا ظلمت وطغت فستكون هى عاد هذا الزمان .

ولا شك أن أمريكا هى رمز العلمانية والمادية .. ولا شك أن الأمريكان هم عظماء هذه الدنيا بالمعنى المادى الدنيوى وأيضا بمعنى التفوق والسبق فى العلوم والفنون والمعارف .. وأساليب القتال .

وأمريكا هى التى تقود قافلة البحث العلمى وما ترصده للبحوث من أموال يفوق المليارات والخطاب القرانى يعنيها تماما حينما يقول :

تبنون بكل ريع آية تعبثون .. فهم أصحاب ناطحات السحاب والأبراج الشواهق .

وفى هذه الأبراج تجد النوادى الوجودية ونوادى الشواذ وقاعات القمار وكل صنوف العبث ودعارة الأطفال .. ومدمنى المخدرات .

وحينما يقول ربنا .. «وإذا بطشتم بطشتم جبارين »

تذكرنا آيات البطش والجبروت بما فعل الأمريكان بإلقاء قنبلة هيروشيما .. على اليابان ردا على غارة بيرل هاربر وما حدث باستسلام اليابان ورفعها للراية البيضاء .. ولم ينقذها استسلامها

من إلقاء القنبلة الثانية على ناجازاكى بضحايا وقتلى ومرضى بالسرطان أكثر من خمسمائة ألف ضحية وهو أعلى رقم من الضحايا حدث فى العالم فى غارة واحدة .

هى إذن عاد الثانية بدون منافس .

وسوف يجرى عليها ما جرى لعاد الأولى إذا مضت فى بطشها وجبروتها وستكون محل العقاب لأنها رمز للعلم والمعرفة .. كما أنها رمز للثراء والوفرة والنعمة الموجبة للشكر والحمد للوهاب الرزاق الذى أنعم عليها بكل هذا .

ولا أتمنى الدمار لأحد .. وأقول هذا من كل قلبى .

ولكنها آيات القرآن المجيد وكلمات رب العالمين أبلغها للعقول العظيمة فى البلد الأمريكى الرائد والقائد الذى يقود قاطرة التقدم فى العالم كله .. لعله يذكّر أو يخشى .

فإن لم يذكر وإن لم يخش .. فالويل كل الويل .. ليس منا فقراء هذا العالم .. وإنما من الخالق العظيم .. رب هذا الكون وحافظه .

وما زال فى الإمكان العودة إلى الحق .. وإصلاح ما أفسده المفسدون .

ونرجو أن يتغلب العقل على الجنون والحكمة على التهور .

على حافة الزلزال

وماذا عن المستقبل ؟!!

٥

■ ٤٠٠ مليار دولار خسائر أمريكا من حربها على أفغانستان هذا غير نفقات الحرب نفسها ونفقات الحشد العسكرى الذى حشدته ونفقات إنشاء المطارات وشبكات الاتصال والصواريخ وراجمات الصواريخ والقنابل البريمية التى تثقب جبال تورابورا وتنفجر داخل كهوفها والقنابل التى تمتص الأوكسجين داخل الكهوف وقنابل ٧ أطنان التى تنسف جميع ظواهر الحياة فى محيط مائة كيلومتر والقنابل الحارقة التى تحول أى كهف إلى جحيم وقنابل الغازات السامة هذا غير فواتير الحرب البيولوجية والحرب الإعلامية .. وكل صاروخ فى الفاتورة الجهنمية تكلفته مليون دولار .

هذا غير خسائر تفجيرات ١١ سبتمبر على الاقتصاد العالمى والاقتصاد الأمريكى والركود وانكماش حجم التجارة الخارجية والآثار على شركات الطيران والسياحة وموقف حركة المال وتراجع معدلات النمو فى كل أوروبا (النمو فى ألمانيا هبط إلى أقل من ١٪) .. وانكماش الانفاق الاستهلاكى عند الشعوب مازال مستمرا .. وهذه النتائج الكارثية سوف تمتد إلى عام ٢٠٠٢ .. وربما تفاقمت إلى الأسوأ .. وفى النهاية لا نتيجة حاسمة لكل هذه الحرب .. بن لادن لم

يعثر له على أثر .. انشقت عنه الأرض واختفى .. والملا عمر لا وجود له .. والإسلام لم يختف باختفاء طالبان ولم يخفت صوته . بل العكس.. جاءت الأخبار من فرنسا بأن نسخ القرآن تضاعف عليها الطلب ونفدت .. وأن القرآن المترجم بالفرنسية أعيد طبعه عدة مرات بأكثر من طبعه .. والأمير تشارلز وريث العرش البريطانى لم يغير رأيه فى الإسلام .. وما زال يقول فى محاضراته إن الإسلام يمثل تراثا حضاريا عظيما .. وفى فرنسا لم يغير روجيه جارودى موقفه من الإسلام ولا من جرائم اليهود .. ومازال عند موقفه الصلب المساند للإسلام والمسلمين .. والسفير الألمانى ولفريد هوفمان فى ألمانيا مازال يدافع عن العقيدة الإسلامية فى كل كتبه والمستشرقة العالمية زيجريد هونكه مازالت تحمل الراية الإسلامية فى كل محفل .. والحملة العسكرية الأمريكية البربرية التى جلجلت فى الصحف والإعلام ونشرات الأخبار لم تأت إلا بنسخة معدلة من بربرية التتار والمغول الذين أحرقوا بغداد ودمروا مكتباتها .. ثم عاد أحفادهم فى تتارستان .. بعد قرن من الزمان ليدخلوا الإسلام وليبنوا المساجد ويترجموا المصاحف ويدخلوا فى الدين الذى حاربه أجدادهم.. وليثبتوا للدنيا أن الحق لا يمكن هزيمته فى ساحات القتال.. وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

إن ما حدث فى جبال أفغانستان كان زوبعة فى فنجان .

والقنابل نسفت قشرة تافهة من الجبل ولكن سلسلة الجبال مازالت راسخة مستقرة فى أماكنها.. وعقيدة التوحيد مازالت أكثر ثباتا ورسوخا .. وكلمة لا إله إلا الله مازالت تطن بها خلايا النحل وهو يفرز العسل فى الشقوق والكهوف .. وأزهار الورد والزنبق

مازالت تتراقص حولها الفراشات مسبحة بعد أن سكت القصف المدفعي وتوقفت الرعود الأمريكية المزعجة .

ولعل الفراشات الوديعة كانت تتساءل .. ماذا كان يفعل هؤلاء الناس.. لقد قطعوا صلواتنا .

أما العالم كله الذى أمسك بأنفاسه من الرعب وراح يتلفت حوله فإنه راح يسأل نفسه فى حيرة .. ماذا كسبت أمريكا من كل هذا الجنون .

وقال البعض .. كسبت السيادة .. وفازت بقصب السبق وبعصا المايسترو .

أمريكا الآن سيدة العالمين وزعيمة الكون .. تأمر فتطاع .. وتوقف قلوب الكل من الرعب إذا شاءت .

ويتساءل الكثيرون .. وما الداعى لكل هذا الاستعراض .. ألم تكن سيدة العالم بالفعل .. وملايين ومليارات الدولارات من أقصى وأدنى العالم تسعى إلى بنوكها بدون قتلى وبدون خسائر .. وكانت الشركات الأمريكية ستفوز بجدارة بجميع تعاقدات خطوط بترول بحر قزوين بدون تفجير كل هذه الزلازل والبراكين .

هل كان هناك ما يدعو لكل هذا الجنون .. ؟!! ويجاوب البعض.

غريزة الاستعراض .. عند جنكيزخان .. وعقدة العظمة عند هرقل.

وأين جنكيزخان وأين هرقل .. لقد سقط الاثنان فى بئر التاريخ.. ولم يبق لهما ذكر .. ؟

هذا كلام فلاسفة .. ومن قال لك إن بوش فيلسوف .. أو أن كوندوليزا رايس من الحكماء .. أو أن تونى بلير من أتباع أفلاطون .. بل هم من أوساط الناس .. ومن أهل الأحلام الصغيرة .. عقولهم

معلقة بالكاد بصناديق الانتخابات .. وبتملق الجماهير .. والديموقراطية بطبيعتها تؤدى إلى هذا النوع من الحكام أصحاب المقاس الوسط .

ومعجزة الإسلام فى التاريخ إنه لا ينهزم أبدا .. المسلمون ينتصرون وينهزمون .. ولكن الإسلام كعقيدة لا تنهزم أبدا .. ألم يدمر التتار بغداد وأحرقوا مكتباتها وقتلوا خليفتها .. ودار الزمان دورته واقتحم الإسلام قلوب هؤلاء التتار الغلاظ المنتصرين فأسلموا وأسسوا دولتهم الإسلامية .. تتارستان .. كيف حدث هذا .. إن كلمة لا إله إلا الله لا تنهزم أبدا .. تزول الجبال ولا تزول .

وهزيمة الطالبان ليست هزيمة الإسلام بل هى هزيمة التشدد والتطرف وهزيمة المذهب الحنبلى .

وكان لابد لهذا التشدد الطالبانى أن ينهزم لأن الإسلام السمح الحقيقى لا يعرف هذا التشدد .. ويهمس البعض لإخراجى من الموضوع .

وما رأيك فى الصراع العربى الإسرائيلى ومصيره فى فلسطين .

رأيى أن شارون أخرج كل ما فى جعبته وأفرغ كل ماعنده ولم يصل إلى شىء بل على العكس أدى إلى تصاعد السخط من جنبات العالم كله .. إنه صنع الفوضى ولم يصل إلى شىء .. وماذا بعد؟!!

الآن كل الاحتمالات واردة .. وكل التحولات ممكنة .. والمستقبل مازال علامة استفهام .. وما بين اليهود والمسلمين صراع لن يهدأ وحروب لن تتوقف إلى يوم القيامة .

وعودا إلى أفغانستان وتحولاتها .. ماذا ترى فى المستقبل .

كيف ستكون الخاتمة .

إنى أنظر إلى بعيد وأتخطى بعينى المشهد القريب واتخطى الزمن.

أنظر إلى أفق المستقبل ربما بعد عشرات السنين .

وماذا ترى هناك .

أرى أن الإسلام سيقتحم القلب الأمريكى ويستولى عليه بلا حروب وبلا صواريخ وبلا قنابل .

وستكون للإسلام مراكز كبيرة فى أوروبا وأمريكا وعقول كبيرة تدعو بدعوته .

إن كلمة لا إله إلا الله حق مطلق .. ولا شيء يقف أمامها .

لقد كان نتيجة هذه الحرب العجيبة أن تضاعف قراء القرآن فى أوروبا وتضاعف الطلب على كل ترجماته .. والعقل الأوروبى ليس عقلا نائما .. ولا يمكن أن يرى الظلم ويسكت .. لقد فجرت هذه الحرب الهمجية أبوابا من التساؤل لا تنتهى .

لقد قتلت أمريكا فى هجمة غادرة أكثر من سبعين ألفا من العرب والأفغان على تهمة ظالمة بلا دليل .

وأخفت الدليل الوحيد الذى تتصور أنه دليل لأنها تعلم أنه مزيف.. ولم تظهره إلا بعد أن انتهى العرض الإجرامى .. وذلك لشكها هى ذاتها فى قيمته ولخوفها من أنه يمكن أن ينكشف زيفه ويصبح دليلا عليها .

لماذا لم تظهره فى البداية ولماذا لم تعلنه إلا بعد أن فرغت من قتلاها .

يكاد المريب يقول خذونى .

إن إعلان بوش للحرب الذى جاء فى صيغة تهديد للجميع .

من ليس معى فهو علىّ .

والمعنى أنه لا يريد مناقشة وإنما يطالب بتبعية عمياء .

وهذه البداية هى أسوأ بداية تبدأ بها أمة تدعى أنها من دعاة الحرية .

والمراد كان من البداية أن تقود أمريكا قطعان الشعوب كما يقود فرسان تكساس قطعان الماشية .

كانت تشترط طاعة مطلقة بلا نقاش وبلا جدل .

هل هذا أسلوب محترم للإقناع .

إن الحكاية من أولها إلى آخرها كانت حصارا وقهرا واستبدادا .. وطاعة عمياء بلا مناقشة .

لقد عادت بنا أمريكا إلى أساليب الاستعمار منذ ألف عام .

حسنا يا سادة ..

لقد أوشكت أمريكا على بلوغ آخر الشوط .. فهل نجحت .. وهل وصلت إلى مرادها .. لا .

لم تصل لا إلى بن لادن ولا إلى الملا عمر .. وربما لا تقع لهما على خبر .

ومعنى أن بن لادن طليق .. أنه سيظل يحيك لها المؤامرات .. ويظل خميرة عكننة .. ومصدر مفاجآت .

أمريكا لم تنتصر بعد .. بل العكس أحاط بها ثعالب الليل .. وأبناء أوى .. وعقارب المستنقعات .. وبما قتلت من أبرياء وأطفال وأرامل وشيوخ وعجزة .. سوف تدور عليها الدوائر .. فقتل الأبرياء والإعدام الجزافى للجموع سوف ينادى على صحيفة الأقدار .

ويطلب حقه من الله الكبير المتعال المنتقم .. حق عرب .

والاسم الإلهى « المنتقم » سوف يحكم بفدية الدم للأبرياء الذين

قتلوا فى فراشهم بالقصف الأمريكى المجنون دون أن يعرفوا ماذا صنعوا .

إن هذه الدنيا تحكمها قوانين وسنن إلهية .. وليست فوضى .

إن كل شىء يبدو فيها عفويا .. ولكن هذه العفوية هى قناع التدبير الإلهى .. وهى سر القدر المحكم .

والذين لا يؤمنون بشىء يظنون أنهم أحرار طلقاء يفعلون ما يشاءون .. وأنه لا حساب ولا مساءلة .. ولا عودة إلى الجرائم التى سقطت بالتقادم .. وأنه ليس بعد الموت شىء .. لا بعث ولا مساءلة .. وإنما رمة تتحلل ترابا تذروه الرياح .

هكذا يظن الجبارون أن السجل سوف يُطوى والمسئولية سوف تضيع .. والموتى سيشبعون موتا ويصبحون رميما .. وترابا تذروه الرياح .

وهو وهم كبير .. وخطيئة .. وكفر .. أن نكذب الخالق وبأى صفة نكذبه وهو العليم ونحن الجهال .

ولماذا تبقى الخريطة الجينية سليمة فى جثث الموتى .. ولماذا تقاوم التحلل والتراب .. إذا كان قولهم صادقا .. أليس فى ذلك إشارة إلى البعث وإعادة التركيب من جديد على نفس خريطة المواصفات الأولى.. ومن أجل هذا كان لابد أن تقاوم الجينات التحلل وأن تكون لها ديمومة تهزم التراب .

إنها إشارات تشير إلى بعث .. فهنا جوهر لا يلحق به التلف .. وهنا حق مخلد تحرسه القوانين .

ونحن لسنا بحاجة إلى هذه البراهين .. فنحن نؤمن بالله وبكل ما يقوله القرآن .. نؤمن بقلوبنا وحسب .

والإيمان يقين قلبى وليس فى حاجة إلى براهين وأدله .

إننا سوف نبعث .. هذا يقين .. القرآن قال بهذا .. وهو كلام الله المنزل .

نعم .. سوف يقوم الناس لرب العالمين .

وسوف تقوم السماوات والأرض بأمره .

إن الله هو الذى يتكلم وليس نيوتن ولا أينشتين ولا بوش الصغير أو الكبير .

والله وحده هو الذى يملك مصداقية أى كلمة يقولها .. وهو وحده الذى يملك الكون ومصيره .

إنه امتحان كبير .

والراسبون فيه سيرسبون إلى الأبد .

لأن أخطاء هذه المرة ليست أخطاء إملائية ..وإنما أبرياء يقتلون ونفوس تزهق وأطفال يقصفون بالقنابل وشباب يفجرون جذاذات وأشلاء .

هل يمكن أن يذهب كل هذا هباء .

البداهة تقول إنها استحالة .

والمستقبل يقول إن الويل قادم لكل أيد تلوثت بهذا الإجرام.. ولكل من نفذ حرائق وتفجيرات ١١ سبتمبر .. فكل من يقتل غيلة وكل من يطعن فى الظهر لا يمكن أن يكون بطلا والقتل غيلة ليس من شيم الرجال .

والذين اتهموا الأفغان ظلما وقتلوهم بالظن هم مجرمون أيضا .

ولن تذهب دماء الأبرياء سدى .

لأن الله هو الذى خلق هذ الكون وهو الذى يحكمه وليس أمريكا .

على حافة الزلزال

٦

انهم يلعبون بالنار!!

■ عملية الاستعراض التى قام بها شارون والطواف بالأحذية فى الفين من حراسة فى ساحة المسجد الأقصى كانت استفزازا مقصودا وكانت إهانة متعمدة لمشاعر المسلمين فى كل مكان، فاليهود يقولون بها .. نحن هنا فى أعز مكان وأقدس مكان لكم رغم أنوفكم وأعلى ما فى خيلكم اركبوه وأقصى ما فى وسعكم افعلوه.

وكان إطلاق الرصاص الحى وقتل الأطفال والشباب قمة النذالة والإجرام والغاية فى الاستهانة والتحدى التى بلغها هذا الاستعراض الدامى للكراهية والمقت .. وصل إلى درجة إطلاق الصواريخ على مراكز القوات الفلسطينية .. وليكن ما يكون .. !! هكذا تقول أفعالهم .

والواضح أن مرادهم كان استدراج الطرف الآخر إلى ردود فعل هوجاء حمقاء .

كان مرادهم أكثر من مجرد أن يفقد الصغار عقولهم .. كان مرادهم أبعد .. أن يفقد الكبار عقولهم أيضا .

وأنا أشم فى الهواء رائحة كريهة ومكرا يهوديا يريد أن يستدرج الكبار إلى معركة مسلوقة بلا استعداد واندفاعا مراهقا بلا إعداد وتحمسا أعمى بلا تدبر .

وهو ما يستدعى فى نظرى إلى لقاء عاجل ومدروس بين العقول العربية والقيادات العربية حتى لا يخرج الموقف عن السيطرة وتتحول الأفعال إلى ردود أفعال عشوائية .

مطلوب لقاء حكماء .. وورقة عمل مدروسة .

ومطلوب سلاح وعتاد وخطة وعقول ترسم وتدبر .

ومادام الأمر وصل إلى إطلاق الصواريخ .. فأين الكاتيوشا؟ .. إنها سلاح متوفر فى الأسواق ويتدفق من منافذ كثيرة متعددة .. وهو ترسانة الفقراء التى أخرج بها رجال حزب الله إسرائيل من لبنان .. والردع مطلوب حتى لا يستفحل الخطر .

ولا أدعو إلى منازلة حمقاء .. بل إلى ردود فعل مدروسة .. ولن نعطى خدنا الأيسر بعد ما جرى لخدنا الأيمن .. ولن نجلل رؤوسنا بالشوك .. فمبدؤنا يقول :

قاتلوا الذين يقاتلونكم .

وأخرجوهم من حيث أخرجوكم .

ولكن بتدبير وتخطيط وعمل جموعى .. وموقف جموعى .

والسكوت بعد ما حدث جريمة .

ولن نقول كما قال عبد المطلب فى غزوة الفيل لجنود أبرهه .. هذه غنماتى وأنا ربها أما البيت فله رب يحميه .. فتلك كانت أمورا تبررها المفاجأة وتسوغها حرب الأفيال التى لم يكن للعرب عهد بها .. أما اليوم فالموقف مختلف والسلاح متوفر عند جميع الأطراف .. والله أفاض من خيره العميم على جميع الدول العربية وأغرقها فى كنوزه. فالعرب فى مجموعهم قادرون على التصدى للعدوان ولا عذر لهم .. والله يبتليهم بهذا التحرش الإجرامى ويمتحن إيمانهم .

وأهداف إسرائيل أبعد من ضرب الفلسطينيين .. أهدافها التحكم فى المنطقة كلها ونهب خيراتها .. ومرادها العلو والسيطرة وإعادة ملك سليمان وبسط سلطانها على العالم .. وهو جنون يسكن العقل الصهيونى من قديم .

والتحكم الصهيونى فى مقدرات أمريكا وفى إعلامها وفنونها وثقافتها وسياستها حقيقة .. وتحكم اليهود من خلال أمريكا فى أوروبا وفى العالم .. وما جرى للمجتمع الروسى من فوضى ومخدرات ودعارة ومافيا وانهيار اجتماعى تخطيط صهيونى مدروس ومحكم .

إنه ينفذون بروتوكولاتهم حيثما حلوا .

والقدس هى الهدف الأسمى وبيت القصيد.. وبها تكتمل رقعة الشطرنج ولا يبقى إلا دخول الملك .

ولا يريد اليهود للعالم سلاما بل خرابا .. وهم يريدون عقابه على سجون « الجيتو » التى قهرهم العالم عليها بطول التاريخ .. فيذوق بعض ماذاقوه .

إنهم فى نظر أنفسهم أبناء الله والجنس الأسمى الذى جرى عليه الظلم والهوان عدوانا بغير حق .. والذابغون فيهم كثير .. والنابغون فى الشر أكثر .. ومن ورائهم الظهير الأمريكى الذى يمدهم بلا حدود فيما يقدرون عليه وفيما لا يقدرون عليه .

وفى الشرق الأوسط كنوز الطاقة وآبار البترول التى يعتمد عليها العالم.. فلماذا لا يكون لهم نصيب فى هذه التورتة الجاهزة .. ولماذا لا تكون لهم حصة .. ولماذا لا يكون لهم فى المنطقة صوت ونفوذ وكلمة مسموعة .

أطماع إسرائيل بلا نهاية وسوف تطول كل دولة عربية وأيديهم تتحرق شوقا لتمتد لمكامن الكنوز فيها .

وبعد طواف شارون بالأحذية فى ساحات المسجد الأقصى هو وصحبه دون أن يُسمع للعرب صوت ودون أن يرتفع لهم نفير .. فإن إسرائيل سوف تجد الشجاعة للتطلع لأطماع أكبر .. والتصعيد سوف يستمر .. والمزاد مفتوح لمناورات أكثر ولتبجح أكثر .

إنهم لا يرون أمامهم أمة مترابطة لها شوكة وإنما يرون فراغا غنيا مترامياً ودولا لها ماض عظيم وتاريخ ولكنها قمم متفرقة ليس لها رابط .. وأسرة عريقة ولكن ليس لها شمل .. وكيانا هائلا ليس له ضفيرة عصبية تحميه .. وبيتا عظيما كريما مضيافا مفتوح الأبواب حسن الظن بكل عابر .. وهو الحلم الذى كان يدغدغ شهية أولاد العم.. ولكن أخطأ أولاد العم خطأهم الأكبر حينما دخلوا هذا البيت المضياف من باب التهديد والإهانة .. وخطوا إليه خطوة الاستعلاء والاستكبار .. وداسوا أول ماداسوا على مقدساته فأحرقوا جميع أوراق اعتمادهم .. وأولى هذه الأوراق هى مستندات هويتهم .. إنهم أبناء العم وأحفاد الخليل إبراهيم .. وماكان هكذا مقدم إبراهيم الخليل على أهل بيته .. بل كانوا أسوأ خلف لأعظم سلف .. وكانوا أبناء السوء الذين جحدوا الأمانة وكفروا الجوار وخانوا الرسالة .

وبئس ما صنعوا وما صنع رسولهم « الجلف » شارون .

صدقونى إنها أزمة .. ومأساة يعز لها النظير .. أن نتحول إلى أمة مكتوفة الأيدى لا تملك الحركة أمام مسرح تُنصب فيه المشانق لكبارنا قبل صغارنا وتنهب ثرواتنا تحت ستار التطبيع وتداس مقدساتنا تحت زعم الملكية المغتصبة وتهدم مساجدنا تحت افتراض أن تحتها

كان هيكل سليمان الذى هدمه بختنصر منذ كذا ألف عام.

ويكون الانتقام من بختنصر البابلى بضرب عراق اليوم بقاذفات القنابل الأمريكية والبريطانية على مدى سنوات بأكثر من تسعين ألف غارة وتجويع أطفال العراق إلى درجة الموت وتكسيح آلة الحرب العراقية لعشر سنوات من التفتيش وإعادة التفتيش ثم إعادة التفتيش إلى ما لا نهاية .

ثم لا يكفى كل هذا .

بل تُخطط سلسلة من المفاوضات هدفها أن يتنازل الفلسطينى عن أرضه وتاريخه وهويته ومقدساته ثم توضع الأمة العربية برمتها أمام الأمة الأمريكية بجبروتها وسلاحها وتقدمها ومعها ابنها الحبيب المدلل إسرائيل الذى يلزم له بعض التنازلات .. « وعشان الورد ينسقى العليق ».

والمشهد المتكرر هو حالة حرب فى شكل سلام وقتال فى صورة تفاوض واغتصاب للأرض فى قالب معونات دولارية وسرقات فى صورة بقشيش وانتصارات فى شكل خطب وتصريحات .

ونسمع الحكماء يتساءلون وينصحون بلغة الواقع المرير .

هل عندكم حل آخر ؟

هل يمكن أن تتصدوا للترسانة النووية فى إسرائيل .. ؟!!

هل عندكم صواريخ تُسقط الصواريخ .. ؟!!

هل عندكم رد جاهز لحرب كيميائية شاملة تسقط عليكم من السماء فى أى وقت .. هل تستطيعون مواجهة الغضبة الأمريكية .. ؟!

أليس من الأفضل أن نفكر بتعقل أكثر ونتفاوض ونتفق ونوقع على المطلوب ونفوز بالدولارات ونبقى حلوين .

ألم يكن فنانكم الكبير سيد درويش يغنى أيام الإنجليز .. ويقول .. عشان مانعلا ونعلا .. لازم نطاطى نطاطى نطاطى .

والأمريكان أولى بهذا فى عصر العولمة .

وفى العصر الأمريكى مسموح بالمظاهرات والهتاف بسقوط أمريكا وسقوط العولمة والاحتجاج فى الجرائد والتليفزيون ومسموح بالمسيرات السلمية وحمل اللافتات الملتهبة ولعن خاش الأمريكان .

الدنيا اتقدمت أوى أوى يا رجالة .. فين دلوقت من زمان .

صحيح كلام الحكماء كله حكمة .. والملاحظات كلها فيها نظر .. ولكن

يقول صاحبى وهو يقرض أسنانه من الغيظ .. ولكننا سننتصر رغم كلام الحكماء ورغم كل هذه الوسوسة الانهزامية ورغم كل هذه الدعايات التى تميت القلوب وتفتت العزائم .

تسألنى كيف .. كيف يطلع الفجر من سواد الليل ؟!! كيف يطل الأمل من ظلمة اليأس .

وأقول لك إننا سوف ننتصر لأن الله أراد لنا أن ننتصر ولأننا أهل الحق وإن كنا لا نملك وسائل هذا النصر فى أيدينا الآن .. وسوف يطلع الفجر من سواد الليل لأنه دائما يطلع من سواد الليل .. وأنه لم يحدث أن كان الليل أبديا أو كان النهار سرمديا .

وكلام الله فوق المنطق وفوق حكمة الحكماء وفوق حدود العقل والمعقول وفوق غطرسة اليهود وجبروت الأمريكان والله يقول لليهود فى محكم قرآنه فى سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤]

ويروى القرآن ما حدث فى المرة الأولى وكانت على أيام غزو خيبر فى أحسن التفاسير .

يقول ربنا فيها : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ٥]

ثم يأتى إلى الثانية فيقول :

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الإسراء: ٦] وهو النفير الإعلامى على أيامنا وقد بلغ صوت اليهود فيه إلى عنان السماء .

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾[الإسراء: ٧] ومعناها يدمروا كل ما بنيتم وأنشأتم .

والكلام عن بناء الهيكل للمرة الأخيرة وهو ما يفكرون فيه حاليا وذلك بهدم الأقصى وبناء الهيكل على انقاضه ليكون هدمه النهائى بعد ذلك فى المعركة الأخيرة على يد المسلمين .

يقول هذا رب العالمين .. وهذا تدبيره وهو القادر على كل شىء .. وليس كلامنا ولا تدبيرنا .

وللذين يسألون عن الميقات « فإذا جاء وعد الآخرة » نقول أن هذه الميقات يتبين من الآية ١٠٤ من سورة الإسراء التى يقول ربنا فيها «وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض » أى تشتتوا فيها أشتاتا لكم فى كل بلد مقر . وقد حدث هذا فى الماضى أيام الشتات « فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا » .

وذلك بأن يأتى بهم ربنا فى هجرات متتالية ليجمعهم فى إسرائيل.. وقد حدث فقد جاءوا بالفعل وجمعهم الله فى إسرائيل .

فنحن إذن فى الميقات .

فقد جمعهم ليقضى عليهم على يد المسلمين .. ولا أمل لهم فى نصرة بعد ذلك .

يقول ربنا : « وإن عدتم عدنا » .

إن عدتم إلى إفسادكم عدنا إلى إبادتكم .

لقد قضى القرآن بنهايتهم .. وهذه إرادة الله فيهم .. وليست إرادتنا .. وهى نهاية بقدرته وخطته وليس بخطتنا ولا بقدرتنا .

وحينما يتكلم القرآن تسكت الحكمة وتخرس ألسنة الحكماء .. فهو سبحانه الفعال لما يشاء .

وللذين يسألون .. أين تكون أمريكا وجبروتها فى هذا الأحداث .

نقول لهم يكون قد جرى عليها ما جرى لعاد الأولى .

ألم يطلق القرآن على قوم عاد هذا الاسم .. وأسماهم عادا الأولى.

ألم يسأل أحدكم فى نفسه .. ولماذا هذا الاسم .. ولماذا قال عنهم فى قرآنه عادا الأولى ولماذا قال فى وصفهم .

(وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون.. وإذا بطشتم بطشتم جبارين) .

والتطابق واضح بين عاد الأولى وعاد الثانية فى العملقة والجبروت.

والكلام معاد .. ولكن للتذكرة .. فإن دعاة الحكمة والحكماء من عصابة التطبيع يتكاثرون كل يوم وتكاد حكمتهم تسد عين الشمس .. ويلزم أن نعيد على أسماعهم المرة بعد المرة كلام رب العالمين فى محكم قرآنه .

لعل وعسى .. تتفتح القلوب .. وتنصت الأفئدة .

ونعيد ونزيد ولا نمل فمن أصدق من الله قيلا .. ومن أصدق من الله حديثا .

ونرتل القرآن ترتيلا .. فالقرآن نزل ليرتل .. ولنتدبر كل حرف من حروفه فى قلوبنا حتى نمتلىء به عقلا وقلبا ووجدانا .

ونؤمن بأن الله هو خالق الكون ومدبر أحواله وأرزاقه .. وأنه واهب النصر لكل منتصر وأنه خاذل كل كافر وقاصم كل جبار .. وأن دنيانا نحن هى التى وصفها بأنها لهو ولعب .. أما دنيا الله فهى القمة فى التدبير والتقدير والإحكام والعدل والجمال .. لأنه هو هو أحسن الخالقين .

وتبارك الله أحسن الخالقين .

على حافة الزلزال

الأيتام ..
في مأدبة اللئام

٧

الكل يتحدث عن الإرهاب ويرفع سيف الإرهاب .
اختلطت الأوراق وأصبح السؤال الصعب والمحير بل والمستحيل أحياناً .. من هو الإرهابى .. من هو الظالم ومن المظلوم .. من المعتدى ومن المعتدى عليه .. من يرهب من ؟!!

الفلسطينى الذى سُرقت أرضه ونُسفت بيوته ودُمرت ممتلكاته .. حتى شربة الماء مد اليهود الأنابيب من تحت الضفة وسحبوها وعبأوها فى زجاجات وباعوها له وهو صاحبها .. ثم طردوه واعتقلوه وألقوا به فى السجون .. حتى إذا ضاقت به الدنيا ولم يجد سوى جسده يفجره فى وجه سجانه .. قالوا هو إرهابى مجرم أثيم .. وما الاستشهاد إلا الإرهاب الإسلامى بعينه .. وهم وحدهم الإسلاميون.. هم الإرهابيون بعينهم .. والسؤال .. من كان يرهب الآخرين طول الوقت .. ومن كان يملك طائرات الـ إف ١٦ .. ومن كان يمطر الفلسطينيين بالقذائف والمتفجرات من السماء .. ومن كان يسقى الآخر الذل والصاب والعلقم والهوان .. ومن كانوا يضعون الموت فى عبوات من القنابل والصواريخ للآخرين .

وحينما انفتحت طاقة فى السماء ووقف الزعيم الهندى إيتال

بهارى فاجبايى يندد بالإرهاب الإسلامى وبما يفعله مسلمو كشمير فى الهند .. طار إليه وزير خارجية إسرائيل شيمون بيريز فى كوكبة من الخبراء الإسرائيليين ليشد على يده ويقول له أحسنت .. نحن معك .. جاء الوقت لنضم الأيدى معاً لنقضى على هذا السرطان الوليد الذى اسمه الإرهاب الإسلامى .. ولم تجد اليد التى مدها برويز مشرف إلى فاجبايى طالباً السلام أى صدى .. وكان رد فاجبايى بارداً ثلجياً .

عليكم أن توقفوا هذا الإرهاب الكشميرى أولاً .. أنتم كنتم البادئين .. وعليكم أن تسلموا القتلة الذين قتلوا البرلمانيين الهنود .

وعند الهند مفاعل نووى .. وعند إسرائيل مفاعل نووى .. وفى باكستان مفاعل نووى .

من يرهب من .. ؟!! من الجناة ومن الضحايا ..؟!!

الإرهاب وصل إلى عنان السماء .. والتهديدات تنهمر من كل الجهات وكلها كوابيس ..

والعالم يخطو على ألغام مرعبة .

وما تفعله إسرائيل هو الإرهاب بعينه .. وهى التى تريد أن تشعل البركان .. وتشيع العالم العربى والإسلامى إلى مثواه الأخير .

إنها تصرخ وتولول من أجل سفينة عراقية بها أسلحة مرسلة إلى فلسطين ..

والأسلحة التى تعرضها وتولول بها فى كل الفضائيات هى مدافع هاون وصواريخ عادية .. بينما هى تملك فى ترسانتها قنابل نووية وصواريخ كيميائية وغازات سامة قاتلة وكوارث فلكية من كل نوع ودواهى ومصائب من كل لون ..

ما هى الحكاية بالضبط .

إذا كانت تريد أن ترهبنا وترهب العالم الإسلامى .. فإنى أقول لها إن الموت قادم بدون حاجة إلى الترسانات الغبية التى تهدد بها .. وأن إسرائيل بذاتها جاءت إلى الدنيا بأمر الله وسوف تنتهى بأمره ولن تستطيع أن تمد فى عمرها لحظة .

وجميع ترسانات إسرائيل لن تقصف عمر إنسان واحد قبل أوانه .

والمسلم المؤمن لا يخاف هذا التهريج فهو يؤمن إيماناً قاطعاً بأنه جاء إلى هذه الدنيا بأمر الله وإرادته وتوقيته وأنه يخرج منها بأمره وإرادته وتوقيته .. وليس بأمر شارون ولا بتوقيت بيريز ولا بهذه الرصاصة أو تلك .. إنما هى أسباب والله وحده هو مسبب الأسباب .

جفت الأقلام وطويت الصحف وانتهى الأمر .

هذا ما يقوله المؤمنون العالمون العارفون .. وهذا ما يردده الدراويش الهائمون والصوفيون المهيمون .. وهذا ما يقوله ربنا فى قرآنه .

ولهذا لا يخشى هذا المسلم أحدا ولا يخاف أحدا ولا يسأل أحداً ولا يتوسل ولا يتسول وكل ما يرهب الآخرين لا يرهبه .. وكل ما يتقاتل عليه الناس لا يعنيه .

ثابت الخطوة يمشى ملكاً .

هذا خلقه وطبعه .. لا يملك مصيره إلا خالقه .

هكذا أرادنا الله ملوكاً على الأرض وعباداً خاضعين لأمره عارفين لعظمته .. وهكذا استقر فى وجدانهم .. وهكذا يفكرون .

ولكن هذا الكلام الذى يردده الدراويش هو كلام المهيمين المغيبين خارج مسيرة الجغرافيا والتاريخ .. وهم قبيلة من الحالمين الذين لا يقدمون ولا يؤخرون شيئاً فى مسيرة الدنيا .. وهذا ما يقوله أهل الواقع ودهاة السياسة .

إنهم هوامش المنشدين والمرتلين وحملة المجامر والمباخر .. وليسوا بالقوى الفاعلة ولا بالقوى العاملة فى مسيرة الإسلام والمسلمين .

ولو تصورت إسرائيل أن هذا حال كل المسلمين لما أعدت لهم رصاصة واحدة ولما جيشت لهم الجيوش ولما حشدت لهم الترسانات ..

تلك قبيلة هائمة مهيمة تعيش فى أحلامها وصلواتها .

ولكن الدول الكبرى لها مسيرة أخرى ولها حسابات أخرى .. ودهاة السياسة لهم فهم آخر ومكر آخر وتدبير آخر وتخطيط آخر .

وحكومات الصين واليابان وروسيا وأمريكا وشعوب أوروبا التى تتقاتل على الدولار والمارك واليورو والين وقادة البنتاجون الذى يجتمعون وينفضون حول مدار الساعة وأهل الواقع الذين يعيشون فى حسابات الواقع وأرقامه .

والباحثون المنقبون عن البترول والذهب واليورانيوم وكافة مصادر الثروة والطاقة .. لهم شأن آخر ولهم هموم أخرى .. إنهم قبائل أخرى مسلحة حتى الأسنان .. تتقاتل على كل شبر أرض .. وتتسابق على كل برميل نفط ..

والأمريكان والروس ودول أوروبا وشعوب الصين وآسيا .. والحكومات التى تدير شئونهم ومصالحهم لاشك مهمومون بمسائل أخرى .. ومشغولون بتقسيم التورتة لتفوز كل دولة بنصيب الأسد

لحكامها وشعوبها .

وهم يقسمون العالم من الآن إلى مناطق نفوذ وإقطاعيات وغنائم .

بترول بحر قزوين الذى خاضت أمريكا حربها الأخيرة فى أفغانستان من أجله .. هو الآن على رأس القائمة .

وبن لادن وتنظيم القاعدة تراجع الآن إلى خلفية الأحداث .

وما كان بن لادن إلا « سبّوبة » .

وما كانت « طالبان » إلا « حجة » .

وما كانت لافتات الحرب وشعاراتها المرفوعة إلا « تعلات » .

وكان وراء الأكمة ما وراءها .

والآن اجتمع الأطراف لاقتسام الغنائم والتخطيط للمصالح المقبلة ونهب كل ما يمكن نهبه .. والترسيم والتقسيم لسنوات وأجال قادمة .

وعلى مائدة العماليق الكبار وقفت الدول الأتباع وأصحاب الألقاب الأصغر والنياشين الأصغر فى انتظار ما يتبقى من عظام ومخلفات وفتات يقع تحت الموائد .

ومن الأبواق الضخمة ومكبرات الصوت .. والبيانات الرنانة .. والتصريحات الطنانة .. مازالت تتدفق الكلمات الكبيرة عن الإرهاب وعن جماعات الإرهاب .. وعن الدول المارقة .. الصومال والعراق والسودان واليمن .. وأكثرها دول فقيرة معدمة لا تجد القوت .

وترتفع النبرة ويزداد الصوت خشونة حينما يأتى ذكر الإرهاب الإسلامى والعياذ بالله !!

وتسرى الرجفة فى أوصال العالم .

ولا يدرى الفقراء .. متى يخرجون من هذه الكوابيس .

ويتساءل الكل وهم ينظرون فى أعين البعض .

من يرهب من ؟!!

وتتسع العيون البريئة ..

وينظر كل واحد إلى الآخر فى اتهام وهو مازال يسأل .

من يرهب من ..؟!!

وتتماسك الأيدى والكل مازال يسأل .. والجيوب فارغة والكل خالى الوفاض .

ويتلفت كل واحد خلفه .

عن من يتكلم الكبار ..؟!!

أين هؤلاء الذين يرهبون العالم ؟ .

وترتفع الأصوات تهدد .

وترعد التصريحات .

وتنظر العيون الزائغة بعضها إلى بعض .

ولا تبقى إلا علامات استفهام .. وتعجب .

إذ لا يوجد أحد فى القاعة الكبيرة .. إلا أيتام العالم .

على حافة الزلزال

الانــذار الإلهــى

٨

المبدأ الذى نعلنه فى كل مناسبة بأنه لا يوجد عندنا ما نخفيه .. لا يعنى أبداً أن هناك رخصة مفتوحة لكل فضولى بأن يعطى نفسه الحق فى التفتيش والتنقيب فى مجتمعنا المصرى .. خاصة إذا كان الشك وسوء الظن وإثارة الفتن هو الهدف الحقيقى لهذه البعثات واللجان المشبوهة التى تأتينا من أمريكا من حين لآخر لتقليب المواجع واختلاق المشاكل وإلقاء التهم الجزافية بدعوى الحريات الدينية وحقوق الإنسان .. هذا الإنسان المقتول فى غزة ورام الله والمطارد والمضطهد فى القدس السليبة .. وأمريكا آخر من يحق لها الكلام فى موضوع الحقوق المهضومة والإنسانية المظلومة وهذه أفعالها وأفعال حبيبتها إسرائيل التى تشجعها وتدعمها .

نحن أمام أعداء وإن لبسوا ثوب الأصدقاء .. وأمريكا بوقوفها مع إسرائيل وتسليحها لليهود بأسلحة الدمار الشامل وترسانات الحرب الكيميائية والجرثومية ومساندتها للعدو الإسرائيلى على فلسطين العربية جعلت من نفسها وريثة للاستعمار البريطانى فى المنطقة العربية .. وجعلت من نفسها عدواً شرساً للمسلمين وإن مدت لهم أيدى الصداقة .

عن أى حريات دينية تفتش هذه اللجان فى بلادنا وبأى حق ؟!!

وهل تريدنا أمريكا أن نفهم الحرية كما تفهمها ..؟؟!!

إن أمريكا تحمى حرية الرجل الشاذ فى أن يختار رجلاً شاذاً مثله ليتزوجه .. وهناك كنائس فى أمريكا تزوج الرجال الشواذ بالرجال الشواذ .. والنساء الشاذات بالنساء الشاذات فكيف تصلح أمريكا مقياساً للأخلاق فى بلادنا .. وكيف تصلح حكماً .. وكيف تقيم من نفسها قاضياً يجلس للفتيا فى قضايانا الدينية .

لقد رفض البابا شنودة لقاء هذه اللجان .. ومعه الحق كل الحق .

ومصر ترفض إعطاء أمريكا هذه الرخصة فى التدخل فى خصوصياتنا الدينية .

وما تفعله أمريكا يدخل فى باب التجسس لا فى باب البحث المشروع .

والصداقة لا تقبل التجزئة .. فأين أمريكا الصديقة من محنة الظلم الفادح الذى يقع للشعب الفلسطينى .. وأين أمريكا من حقوق هذا الإنسان المغدور .. وأين أمريكا من هذا القهر الظالم الفاجر الذى يقع على أرض عربية .

وماذا يساوى العرب فى نظر أمريكا أكثر من بترولهم ..؟!! سؤال نريد له جواباً شافياً .

إن أمريكا تثبت كل يوم أن الاستعمار هو الاستعمار .. فى جميع صوره وأشكاله بدءاً من إبادة الهنود الحمر .. إلى قهر الوطن العربى بآلة الحرب الاسرائيلية .. إلى لجان التفتيش فى الواقع الدينى المصرى .

ولا أملك يا سيد بوش إلا أن أسمى الأشياء بأسمائها .

ليس ما تفعلونه بالصداقة أبداً .

دعوا الصداقة لأهلها .

إن ما يجرى من تصرفات يمكن أن يصنف تحت بند .. المصالح والمنافع .. وهى المائدة المشتركة بين عائلة الذئاب وجوارح الطير وورثة الاستعمار بأشكاله وأنواعه ..

وهى مائدة لا وجود فيها للعواطف ولا للصداقة .. لا وجود إلا للمخلب والناب .

ونحن لا نستطيع أن ننافس أمريكا فى مخالبها ولا نملك الدخول فى هذه اللعبة ولا ندعى القدرة عليها .. ولهذا نفضل أن نغلق بابنا على بيتنا ونكفيكم خيرنا وشرنا .. لا نريد زواركم ولا نشغلكم بزوارنا .. وتكفينا .. هالو .. من بعيد لبعيد .. فزوار اليوم يغسلون الأحذية بالفنيك خوفاً من الحمى القلاعية .. ويربطون على بطونهم خوفاً من لحوم البقر .. والهواء معد .. والعطس قاتل .. والتلوث هو القاعدة والعياذ بالله .

الأحضان الدافئة تنقل الإيدز .. والقبلات اللذيذة تنقل الإنفلونزا .

والقلوب تلوثها الأغراض والأطماع .

ولا وجود للبراءة فى أى مكان .

والإنسان معاقب فى دنياه وآخرته .

وفى عالم من أمثال شارون .. الحياة لا تساوى همها والوجود لا يُحتمل .

وللأسف الشديد يا سادة .. لا يوجد لهذا الجيل اختيار .. فلا يستطيع سكان هذا العصر أن يختاروا لأنفسهم عصراً آخر .. ولا توجد سبل مواصلات للهروب من الزمن .. أو الفرار إلى المريخ .

والسفر فى الزمن حلم جميل نقرؤه فى الروايات ولكنه مجرد حلم لا أكثر .

وكم أتمنى أن أهاجر من هذه الكوابيس إلى زمن الرسول عليه

الصلاة والسلام .

وكم أتمنى أنْ أرى وجه سيدنا على ولو فى حلم ..

ليس هروباً من عالم الباطل بل شوقاً إلى عالم الحق .. لأتزود بطاقة تساعدنى على الاستمرار .. ما أروع البطولة .. سيفاً لسيف ورجلاً لرجل .. ولا مطلب ولا هدف سوى وجه الله ورضاه .. هنا القيمة اللانهائية .. التى لا يعدلها ذهب الأرض كله .

وهنا معنى الخلود .

انه الموت ولا موت .

السيف سوف يخترق العدم نفسه ويضع قدم صاحبه على أرض الخلود .

أين هذا من التهريج الأمريكى ومادونا ومايكل جاكسون وعالم الشذوذ والجنس والمخدرات والهامبورجر والكنتاكى وزبالة الأطعمة التى يلقونها علينا .. وما يفعله مايكل جاكسون .. يستطيع أن يفعله أى قرد سيريلانكى بمهارة أكبر .

اننا نعيش فى زمن رخيص .. ياسادة .

وليس من حق أمريكا أن تبعث إلينا بلجان تفتيش .. فبيتها أولى بهذا التفتيش وأحوج .

لقد صعدت أمريكا إلى القمر .. هذا صحيح ..

وقد سبقتها روسيا إلى هذا الشرف الرفيع .

ولكن ماذا فعلوا هناك .

روسيا ألقت سفينتها الفضائية « مير » كزبالة فضائية .. وأعولت الصحف وتعالت البكائيات والمراثى على ماضٍ انتهى وترك وراءه ذيولاً من الفقر والفوضى والعجز والاجتماعى ..

وامريكا فى نفس الطريق النازل .. انهيار البورصات .. والركود

الاقتصادى .. وتدهور الأسهم والسندات .. والبقية آتية فى الطريق .

ماذا سيبقى .. ؟!

الحضارة ليست دبابات وطائرات وصواريخ.. ولا هى دولارات وماركات .. والإنسان ليس عضلات ولا قوى مادية فقط وإنما الإنسانية رقى وأخلاق ورحمة وسمو وعظمة وقيم ومعنويات ومثاليات .. الحضارة روح .

ومصر الماضى لم تكن أهرامات فقط .. وإنما كانت ترنيمة إخناتون.. وكانت فكر الموحدين فى جامعة أون وكانت « عازفة الهارب » وأنشودة الناى ومعجزة القرآن .

هذه كانت حضارات .. ولم تكن مجرد غزوات عسكرية .

أما اليوم فالقمم أقرب ما تكون إلى القاع وبين غمضة عين وانتباهتها تتقلب المصائر وتهوى القمم إلى حضيض .. ويرتفع شأن من لا شأن لهم .. كما البورصات .. وهذا هو الزمن الرخيص .. يرتفع فيه من لا يستحق ويهوى تحت الردم من تأخذه عن نفسه الغفلة ولو لحظات .. ويختفى الإنسان مثل الأكلات السريعة .. ويُبتلع ويُزدرد بلا هضم .

وهذا زماننا ..

زمن المعلبات .

كل شىء يقدم إلينا معلباً .

واليوم يحاولون تعليب التاريخ نفسه .

هل يمكن ؟!!

لا أظن أن هذا بالأمر الممكن .

والذين يحاولون تعليب التاريخ .. سوف يعلبهم التاريخ نفسه فى لحظة زمان .. كما طوت الأرض قوم عاد فى لحظة .. تلك التى سماها

ربنا فى القرآن عادا الأولى ..

وأراد الله بهذا أن يلفت أنظارنا .. إلى عاد ثانية قادمة .. هى أمريكا التى نحن فيها الآن .. سيكون لها علو وطغيان .. ثم تلحق بعاد الأولى فى مصيرها .. لتكون عبرة .

فهل تفعل أمريكا ما فعله الجبارون الأوائل .. وتمشى على دربهم .. فيلحق بها ما لحق بهم ..؟!!

المستقبل وحده هو الذى عنده الإجابة .. وإنها لتهرول ساعية على آثارهم .. ونمسك بأنفاسنا .. فإن قائد الكون وحده هو الذى بيده عصا القيادة .. وبأمره يسير الفلك .. وليس برغباتنا ولا أحلامنا .

ماذا يقول ربنا فى قرآنه لقوم عاد فى سورة الشعراء فى الآيات ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) .. وكأنما يكلم أمريكا التى سبقت العالم فى مصانعها وأبحاثها عن أسرار الحياة والخلود والاستنساخ وسبقت العالم فى بطشها وجبروتها فألقت بالقنبلة الذرية على اليابان رغم استسلامها .. ليس قنبلة واحدة بل قنبلة على هيروشيما وأخرى بعدها على ناجازاكى .. فقتلت أكثر من ثلاثمائة ألف قتيل فى لحظة .. سابقة للبطش ليس لها مثيل ..

وهم فى أمريكا يبنون بكل ريع آية من آيات المعمار وناطحات تنطح السحاب وأبراجاً تطاول السماء تمتلىء بالنوادى الوجودية وفنون العبث واللهو والترف التى لا تخطر على بال .. فماذا تعنى تلك الآيات المنذرة .

أهى إشارة من عالم الغيب والشهادة إلى زلزال مروع يأتى على هذا كله .

إن القرآن لا يلقى بالكلام على عواهنه .. وإنما هى آيات محكمات

يأتى بها الله شواهد على صدق نبيه فى الماضى والحاضر والمستقبل فيلجم بها الأفواه المنكرة .

وأُمسك عن التفسير .. فما أدرى ماذا تكون « قاصمة الظهر » التى سيأخذ بها ربنا عادا الثانية .. وإلى ماذا تشير هذه الآيات التى يتجمد لها الدم فى العروق .

وننتظر لنرى .. كيف ومتى تكون نهاية قوم عاد الجدد جبابرة هذا الزمان .. وعلى أى صورة سيأتى عليهم هذا النذير .

ويظل السؤال .. متى ؟! .. وكيف ؟! معلقاً .. والجواب علامات استفهام متى ينزل الله عقابه .. وكيف ..؟

والله وحده هو الذى يقدر الأمر .

ومن أسمائه أنه الصبور .. وهو يصبر على ذنوب خلقه ويمهلهم إلى حين .

وقد يطول هذا الصبر إلى مدى أجيال .

وقد ينزل عقابه بساحتهم بين عشية وضحاها .. أليس الصبح بقريب .

ولكنه قادم يقيناً .

وساحة الإعدام جاهزة فى انتظار كلمة .. « كن » .

ولن يفلت ظالم .

وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٢٢٧ - الشعراء) .

على حافة الزلزال

اسرائيل .. طاعون العصر ودولة الارهاب

٩

ماذا يريد اليهود بالضبط ؟!
اقـرأوا مـاذا يقـول البـروتوكـول التـاسع من بروتوكولات حكماء صهيون
إن لنا طموحـا لا يُحد وشرها لا يشبع ونقمة لا ترحم وبغضاء لا يدركها خيال (البروتوكول التاسع).

نحن جيش خفي لا تُدرك وسائله بالطرق المستقيمة فالمراوغة أسلوبنا والاستخفاء طريقنا.. والماسونية التي نتبعها لا يفهمها الخنازير الأغبياء من الأمميين (البروتوكول الحادى عشر).

ولكى نخرب صناعة الأمميين (غير اليهود) نصنع المضاربات ونرفع أسعار الضرورات الأولية وخامات التصنيع ونتحكم في البورصة ونشيع الفوضى بين العمال وننشر المخدرات ونطارد كل ذكاء أعمى (والمقصود بالذكاء الأعمى كل ذكاء عند غير اليهود) وننشر الفتن والنزاعات والعداوات بين الناس.. وعن طريق المحافل البريئة.. وهى المحافل التى نسمع عنها الآن مثل (نوادى الروتارى والليونز وشهود يهوه) نتحسس ونستشعر ما يجرى فى قلوب الناس وعقولهم.. (وهى إذن ليست محافل بريئة.. بل هى قنوات استشعار وعيون مبثوثة داخل كل بلد).. ولايدرك جمهور العميان وسائلنا لأنهم

غارقون فى ملذاتهم وشهواتهم..

وماذا يقال الآن وقد جاء بعد الروتارى والليونز ما هو أسوأ.. نوادى عبادة الشيطان ونوادى العرى والشذوذ وموضات البانجو والشيشة.. والفساد يخرج علينا بأسماء جديدة وموضات جديدة كل يوم.

والماسونية تختفى لتعود بألف وجه ووجه.

و"الماسون" هم البناؤون الأحرار وهدفهم النهائى هو هدم العالم وإعادة بنائه على السياسة الصهيونية المثلى ليسود اليهود العالم.. وهدم الأديان هدفهم فلا دين إلا دين موسى ولا ناموس إلا ناموس موسى ولا كتاب إلا التوراة.. والعين التى فى أعلى صورة الهرم المطبوع فى ظهر الدولار الأمريكى هى العين الماسونية التى لا تنام.. وعلى الوجه الآخر للدولار مكتوب باللغة اللاتنية.. النظام العالمى الجديد.. NOVUS - ORDO - SECLORUM والمعنى باختصار.. هو العولمة.. بمصائبها.. إن الأمور تجرى كما يريدون حتى هذه اللحظة.. وهم قد حققوا ما كانوا يخططون له من زمن بعيد.

والتوراة الأصلية يخفيها الأحبار والحاخامات ولا يعلم خفاياها وأسرارها غيرهم.. و"شهود" يهوه كلمة مشتقة.. من اسم الله الأعظم "هو" يناديه العابد.. يا هو. فى كتابهم.. العهد القديم.

وهم في نظر أنفسهم.. الأولى بهذا الاسم.. وحدهم.. فالله لهم وحدهم.. هكذا يعتقدون.

وأكثر الناس في نظرهم.. بهائم وسوائم.. خلقت ليركبوها وليقودوها.. فهم "الجوييم" غوييم أى السوقة والبهم الذين خلقهم الله لهم ليسوقوهم ويستغلوهم ويمتصوا دماءهم.

وهدم الكنيسة.. وهدم البابوية.. وهدم المسجد الأقصى.. وهدم مسجد الصخرة.. وهدم كنيسة القيامة.. من أهدافهم وأحلامهم.. وكارل ماركس اليهودى بشيوعيته وماركسيته.. هدم الكنيسة فى أوروبا الشرقية بالفعل.. ولكن ما لبثت أن قامت قيامتها من جديد على يد ليخ فاونسا في بولندا وجورباتشوف في روسيا وبجهود القديس بولس فى الفاتيكان.. ولكن الهدم مستمر بوسائل أخرى كثيرة ومتنوعة.

والخطوة القادمة هى.. هدم الأقصى وبناء الهيكل.. بالفعل.

وهم يحرثون الأرض فى فلسطين وينتزعون الفلاح الفلسطينى من أرضه كما ينتزعون الحشائش الفاسدة.. ويجرفون التربة ويهدمون البيوت على سكانها ويقتلون الأطفال والرضع والحوامل ويعيثون فى الأرض فساداً تحت حماية كاملة ورعاية كاملة من الراعى الأمريكى.

ويعدهم بوش بنقل السفارة إلى القدس مكافأة لهم رغم أنف النصارى والمسلمين.. ورغم البترول العربى والثروات العربية التى تتدفق من الأراضى العربية على الراعى الأمريكى ورغم السوق العربية التى فتحت أبوابها ونوافذها لكل وارد من الراعى الأمريكى.. ولكن السياسة الأمريكية مازالت عمياء تماما عن الحقوق العربية.. والصهيونية مازالت هى الحاكمة علي كل قرار يخرج من البيت الأبيض.

وفى التلمود تعتبر روح اليهودى جزءا من روح الله كما أن الابن جزء من أبيه.. وأى روح غير يهودية هى روح شيطانية.. والجنة عندهم هى جنة الدنيا ولا يستحقها إلا اليهود أما باقى الشعوب فمأواهم الجحيم بين الزفت والنار.. وأموال المسيحيين مباحة لليهود

كالأموال اللقيطة.

ومسموح لليهودى بغش الأممى غير اليهودى.

والله لا يغفر ذنبا ليهودى يحفظ للأممى ماله.. فاليهود هم أصحاب الحق في كل شيء.

والرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب.

ورغم أن التوراة تبلغ الألف صفحة إلا أنه لا ذكر فيها للبعث ولا للحساب ولا للآخرة.

وفي سفر أرميا ينام الموتى نوما أبدياً ولا يستيقظون.

وعند أشعيا (٤٣ - ١٧) الموتى يضطجعون معا ولا يقومون.. فهم قد خمدوا كفتيلة انطفأت.

وفي المزمور ٦ (يارب نج نفسى خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك.. وليس فى الهاوية من يحمدك؟.. أى من يعبدك بعد أن أصبحنا ترابا.. ولا من يسبحك.. ومن يسجد لك؟!) فقد أصبحنا عدما وطوانا النسيان.

ولم تظهر فكرة البعث بعد الموت عند اليهود إلا بعد الأسر البابلى.

أما قبل ذلك فى سفر أيوب (الإصحاح ١٤) تقول التوراة.. للشجرة أمل إن قطعت تعود فتنبت زرعا أما الرجل فيموت ويبلى ولا يبقى منه شيء.. النهر يجف والإنسان يضطجع ولا يقوم..

لقد شطب اليهود كل ما يخص الآخرة من توراتهم وجعلوا الدنيا كل همهم.

وما جاء بعد السبى البابلى من ذكر الآخرة ونعيمها كان أحلام السبايا والعائدين المصفدين في الأغلال.. ولكن البعث لا أصل له ولا حقيقة له فى التوراة.. وأغلب الظن أن أيدى اليهود هى التى

حرصت على محو كل ذكر للآخرة فى التوراة.. حتى لا يفكر اليهودى ولا ينشغل إلا بدنياه وحيازتها وامتلاكها.

ونفس التزييف حدث فى كلام الصهيونية عن القدس واتخاذها عاصمة أبدية لليهود واختلاق أصل تاريخى لهذه الملكية.. رغم أن أورشليم وهو الاسم القديم للقدس هو اسم كنعانى فلسطينى.. وسليمان هو الذى تمسك بملكية القدس لتصفية خصومه وهو الذى بنى فيها الهيكل.. ولم يُظهر ملوك إسرائيل ويهوذا في حروبهم الداخلية أى احترام لهذا الهيكل بل كانوا ينهبونه مع كل غزو ومع كل انسحاب .. وموسى مات ولم تطأ قدمه أرض فلسطين .. تلك التى تتمحور حولها أحلام الصهيونية .. وتدعى ملكيتها بصك إلهى .. فأين ذلك الصك الإلهى ؟! لقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائيا وطردوهم من فلسطين وكان هذا هو التاريخ الذى انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا .. ويقدر عدد يهود الخروج بنحو أربعين ألفا وبقيت شراذم قليلة فى نابلس .. وفى بداية القرن التاسع عشر كان عدد اليهود فى فلسطين كلها لا يزيد على عشرة آلاف .. وأورشليم هدمها نبوخذ نصر ودمرها تيتوس وأحرقها الإمبراطور هدريانوس .. وبعد مذابح الأشوريين والبابليين والرومان لم تبق إلا قلة مستضعفة خاضعة تعيش بالتزلف والمكر والوسائل الناعمة الملتوية فقد انقرضت العناصر المناضلة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والتذلل .. وأصبحت عاصمة يهود الشتات هى منافى اليهود فى أوروبا وأكبر تجمع لهم كان فى فرانكفورت بألمانيا .

وجاءت العصور الوسطى بالحروب الصليبية التى أشعلت نار الاضطهاد الدينى ضد اليهود فى أوروبا كلها .. وفى أواخر القرن

الرابع عشر اختفى يهود فرنسا وتقوقع يهود إيطاليا وتعرض يهود المانيا للإبادة .. وبدأت هجرة الأفواج اليهودية من ألمانيا وأسبانيا وكافة شعاب أوروبا إلى أمريكا .. هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة وكندا أكثر من مليون يهودى وصار هذا التجمع أكبر تجمع يهودى فى العالم .

وكل أحقاد هذا التجمع بدأت تصب جام سخطها وانتقامها على العرب وعلى المسلمين ومن خلال الصهيونية وتخطيطها لإقامة اسرائيل الكبرى على أنقاض فلسطين العربية بدعوى أنهم الأحق بالأرض .. وأنهم قوم موسى الأولى بتراثه .

وكان على عرب فلسطين أن يدفعوا ثمن ما جرى لليهود من طرد وإذلال وإبادة بطول العالم وعرضه .

واسرائيل الآن التى تتألف من اليهود الأشكناز القادمين من المانيا واليهود السفارديم القادمين من أسبانيا ومن شرق أوروبا بتعداد كلى حوالى ١٣ مليونا هم بالفعل أوروبيون سلاف أو آريون أكثر منهم ساميين وصلتهم العرقية مقطوعة تماماً بالأصول السامية التوراتية التى يدعونها .. فهم ليسوا من بنى اسرائيل ولا من قوم موسى بل هم أخلاط من الشعوب السلافية والشعوب الآرية وبقايا شعوب الخزر فى روسيا ومنطقة بحر قزوين .. وليسوا ساميين .. ولا هم من قوم موسى .. بل هم شراذم وبقايا وأخلاط من جميع الأمم .. وشذاذ آفاق لا هوية لهم سوى الابتزاز والاغتصاب والسطو على المال والأرض بالمساندة الأمريكية القاهرة والسكوت الأوروبى المريب .. وهذا التأييد الأوروبى والمساندة الأمريكية والسكوت الفرنسى والبريطانى وقوى الاستعمار القديم تخفى كلها حقيقة باطنة هى

الخوف من يقظة إسلامية تقلب الموازين .. مما دعا كل الجبهات المعادية للإسلام إلى التفكير فى منطقة مواجهة تكون .. جاهزة .. لتصد هذا الموج الإسلامى العارم المحتمل .. وفى تصور الكل أن اسرائيل هى المرشحة لهذا الدور فهى التى يمكن أن تقف فى وجه هذا التيار وهى التى يمكن أن تصده .. وهى التى يجب دعمها لتقوم بهذا الدور التاريخى .. واستنتاج أصحابنا فى غير محله .. فلا يوجد « تتار » إسلامى قادم .. ولا يوجد تنام لقوة السلاح الإسلامى فى أى مكان .. وإنما هو تنام للوعى الإسلامى فقط .. وصحوة فكرية لا أكثر .. وهى صحوة سوف تزداد بوجود العدو الاسرائيلى ولن تنهزم بوجوده .. بل سوف تستجمع نفسها أكثر فأكثر (كتاب دولة اسرائيل للدكتور حسن عوض) .

إن ما يحدث سيكون عكس تصورهم .. فالعدوان الإسرائيلى لن يحبط التجمع الإسلامى بل سوف يزيده .. وميلاد القوة العسكرية الإسلامية سيكون بسبب الحماقة الاسرائيلية وبسبب هذا الجهل الأوروبى .

وسوف يؤدى العدوان الإسرائيلى إلى عكس ما تصور المتآمرون الكبار فسوف يجمع العرب والمسلمين رغم أنوفهم ..

وما سوف يحدث سوف يكون بعكس ما تصورت إسرائيل وأعوانها .

والمسلمون ليسوا تتار العصر القادم ولا يشكلون جبهة معادية للحضارة .

وهم ليسوا جبهة عنصرية مثل اليهود .

والمسلمون ليسوا ضد النهضة العقلانية الأوروبية .. بل إن

النهضة العقلانية الأوروبية ذاتها خرجت من جلباب ابن سينا ومن فكر الإسلاميين القدامى .

وعلوم الفلك وأسماء المجموعات النجمية التى دخلت القاموس الانجليزى بأسمائها العربية .. مازالت إلى الآن تكتب بأسمائها العربية الأصلية .. وهى تشهد جميعها بأن عصر العلم .. والعقلانية التى تعيشها أوروبا هى ميراث عربى .

لقد ظلموا الإسلام .. واتهموه بما ليس فيه ..

إن اسرائيل هى البلاء الحقيقى .. وهى التعصب .. وهى العنصرية .. وهى العمى الدينى .

اسرائيل هى طاعون العصر .. ودولة الإرهاب .

والدول الإسلامية قد أخذت التطعيم الكافى من كل ما يحدث من بلايا وأرزاء وسوف يكون لها قيامة من هذا النوم الطويل فى القريب .. ولكل فعل رد فعل يأتى فى أوانه .. والمستقبل كوارث وألغام .

والمأزق الآن هو .. نكون أو لا نكون .. كما فى النهايات الدرامية .. وللأسف .. لا يوجد وسط .. فإما الموت أو الحياة بكل مخاطرها .

وإذا لم أكن مخطئاً فإن الله أراد هذه المواجهة .. فلا شىء يحدث فى الكون دون علمه ودون إرادته .

وأقول للإخوة العرب .. إن الموت قادم بهذا السبب أو بدونه .. فلا تموتوا خزايا .. ولن ينفع نفس ما ادخرت .. بل ما عملت .

هبوا عباد الله إلى واجبكم .. فإن العبء جسيم والوضع أليم .

ولا شىء يساوى خزى يوم الحساب .

ولن يضيف هذا الخزى يوماً واحداً إلى أعماركم ولن تُنقص

الشجاعة دقيقة واحدة منها .. إنما هى خطى كتبت علينا .. وامتحان للقلوب والعزائم .. والعاقبة خلود فى الجنة أو خلود فى النار .. ولا يوجد وسط ..

إما أن تتلقى كتابك بيمينك أو تُلقاه بشمالك .

ولا نعرف وسطاً بين الاثنين .

إلا ما يقوله أهل الحشيش ومدمنو البانجو .. من « الشيمين واليمال » بعد النفس العاشر .. والكركرة المتينة .. التى يغيب فيها العقل .. ويأخذ أجازة من كل شىء .

على حافة الزلزال

الدولة التى تعيش على جهاز تنفس صناعى

١٠

الزميل محمود عوض كان على حق حينما أعطى إسرائيل حجمها الحقيقى بقوله إنها دولة صغيرة تعيش على جهاز تنفس صناعى .. فهكذا هى فى كلمتين .. وهذا تاريخها بالفعل .. وهى دائماً معتمدة على مدد ووسائل إنعاش صناعية .

ومنذ بدايتها وهى تعيش فى المحضن الأمريكى على إرضاع صناعى .. ولم يكن لها فى أى يوم قوة ذاتية .. وإنما كانت قوتها مستعارة مقترضة من هذا وذاك .. ومفاعلها النووى استنساخ أمريكى .. وصواريخها وطائراتها وغواصاتها ودباباتها وتغذيتها بالمال والسلاح والتأييد والمساندة السياسية هى .. من رحم الدول الاستعمارية عبر حبل سرى لا يكف عن ضخ المعونات .. وهى ترضع الخلاصات من كل شىء .. ثم تصرخ طلباً للمزيد .

إنها طفيل مدمن للتطفل يعيش على دماء غيره ولا يكف عن الصراخ والشكوى من الاضطهاد والظلم .. وهى فى ذاتها .. « الظلم الفاجر فى ذروته وتبجحه » .

إنها اليهودى اللحوح الذى يستنزف كل من حوله .. ثم يشكو من الجوع والحرمان .. والقلب المريض الذى لا يستطيع أن يعيش بدون

تنفس صناعى .. والذين يعطونها بالمليارات ليسوا أغبياء .. فهى تؤدى لهم دوراً لا غنى عنه .

إنها الفتنة الدائمة فى منطقة البترول التى تأتى بالعرب على الأعتاب الأمريكية مستجيرين يطلبون النصيحة والوساطة والنجدة .. وأيضاً السلاح للدفاع عن أنفسهم إذا دعا الأمر .. وهم دائماً مستعدون للدفع بالمليارات .

وفى النهاية .. لا حرب بدون أمريكا .. ولا سلم بدون أمريكا ..

ولكن نقطة ضعف اسرائيل القاتلة .. أنها تتنفس صناعياً بجهاز تنفس صناعى وفى حاجة دائمة إلى مدد وإنعاش بوسائل صناعية .

وهى لا تستطيع أن تحارب إلا من وراء جدر .. أو من وراء دبابة .. أو من نافذة طائرة .. أو من قمرة غواصة .. أو بمدد من آخرين .. ولا تستطيع أن تباشر القتال بالأيدى .

ولا تستطيع أن تشتبك رجلاً لرجل .. ولا تستطيع أن تصمد للمواجهة المباشرة .

وحينما خرج لها رجال حزب الله فى العراء .. وحينما اشتبك بها رجال المقاومة اللبنانية .. أطلقت اسرائيل ساقيها للريح واختارت الفرار ..

وتلك هى نقطة ضعفها القاتلة .. إنها لا تستطيع الحياة بدون عكاز .. أو تهديد نووى .. أو دولة قوية تساندها .. أو مدد يمدها بلا انقطاع .. أو ظهير أمريكى .. أو بلطجى تحتمى بقوته .

وهذا الاحتياج سيكون مقتلها .

وعلى العرب إذا أرادوا الانتصار أن يكفوا عن الكلام ولا يغرقونا فى الحماسيات .. وأن يكونوا أهل فكر وتخطيط وعمل .. وإذا جنحت

إسرائيل للسلم فمرحبا بالسلم وبشروطه .. وإذا جنحت للحرب .. فالعرب بوحدتهم يمكن أن يردوا عليها كيدها .

وشارون وصل إلى الحكم أخيراً .. ولم نألف من الرجل سلاماً .

ولا نستبق الحوادث .

ولكل حادث حديث .

فلو أنه بدأ بالحسنى وآثر التفاهم وقد سبقه بيجين إلى ذلك وكان أشد منه وأكثر غلظة وكان اتفاق كامب ديفيد على أيامه .

وساعتها يمكن أن نقول إن الأحداث يمكن أن تسير بالتاريخ إلى نهج مغاير .. ولكنى لا أرى لهذا التفاؤل مقدمات ..

ولا أتوسم فى شارون إلا الشؤم والخراب .

ولا أرى على أيام شارون إلا النهج الدموى والقسوة الهمجية والوحشية .. وقد رأيت جنود باراك يطلقون زخات الرصاص على أقدام الفلسطينيين حتى تنفجر المفاصل وتتفتت بينما القتلة الاسرائيليون يصرخون فى هستيريا ويضحكون .. حتى تسقط الضحية على وجهها فيسحبونها ويهرولون بها فى لا مبالاة واستهتار وبلادة وضيعة .. وهذا باراك .. فما بال شارون .

ومثل هذه المشاهد المقززة التى يباشرونها أمام عدسات التصوير لا يمكن أن تكون إلا نماذج من الترويع والتخويف لزرع الجبن فى قلب اى فلسطينى يفكر فى مجاراة الانتفاضة .. وهى نهج قتالى تعلموه فى تدريباتهم .

وينسى المقاتل الإسرائيلى .. أن رد الفعل يمكن أن يأتى عكسياً تماماً .. ويمكن أن يزرع المشهد المقزز رغبة فى الانتقام واندفاع جنونى نحو الفاعل لتمزيقه إرباً .

وبين التجمد المذعور والاندفاع المجنون .. خيط رفيع .

ومن يضمن ؟!!

إنها مقامرة تطير فيها رقاب .

ونزول شارون إلى الميدان .. هو بلا شك مقامرة كبرى .

وقد نفاجأ بشارون آخر غير الذى نعرفه .. يفاوض ويتنازل .. وبيجين الليكودى الأصيل تنازل وتراجع حتى أعاد لنا سيناء كاملة فى كامب ديفيد .. وبيجين هو بيجين الذى لم يكن يتنازل عن شبر أرض ..

وأنا شخصياً أستبعد أن يتنازل شارون عن ميلليمتر .. وأستبعد أن يرد للفلسطينيين حبة رمل وضع يده عليها .. ولكن يحدث أحياناً أن يكون الواقع أغرب من الخيال .

شىء واحد يجعلنى لا أرجح أى خطوة سلمية واسعة يقدم عليها شارون .. هى .. آيات القرآن التى نزلت فى سورة الإسراء .. لتخاطب اليهود فى كلمات قاطعة لا لبس فيها عن المسلمين وما سوف يفعلون بهم فى الأيام الأخيرة .

يقول ربنا .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً » .. أى يدخل عليكم المسلمون القدس ويدمرون كل ما رفعتم من بناء ويجعلونه خراباً .

هل هذا البناء الذى سوف يرفعونه ليدمره المسلمون هو الهيكل .. ربما ..

والمعنى أنه مازالت هناك فسحة زمان .

ولابد أن يرتفع الهيكل ليأتى فيما بعد من يهدمه .. والسؤال

الثانى هو ما الميقات الذى يطلق عليه ربنا « وعد الآخرة » ؟!!

يقول ربنا فى آية أخرى تشرح هذا الميقات فى آخر السورة :

«فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً» .. أى نكون قد جمعناكم من أطراف الدنيا وعدنا بكم إلى القدس فى هجرات متعددة .. وقد تحققت تلك الهجرات الآن واجتمع شمل اليهود فى القدس .. ونحن إذن فى الميقات .. ووعد الآخرة لا يعنى الآخرة وإنما يعنى تحقق ذلك الوعد الإلهى .. وقد تحقق بالفعل .. واجتمع اليهود فى بيت المقدس.. استدعاهم ربنا وجمعهم بقدرته .

إذن الآية تتحدث عن اليوم .. وعن الحاضر الذى نعيشه .

والهزيمة الكبرى التى سوف تنزل بإسرائيل سوف تحدث فى هذه السنوات .

والآيات تحكى عن مواصفات مشهودة وظروف قائمة .

فإذا صحت هذه القراءة وصدق هذا التفسير فنحن مقبلون على صدام .

ولا أدعى علماً فقد تخطىء القراءة ويخطىء التفسير كما يخطىء التوقيت أيضاً .. والتروى فى هذه المسائل مطلوب .. والقرآن بحر ولا يستطيع أن يدعى أحد أنه سبر أغواره .

ويبقى فى النهاية أننا أمام احتمالات لا غير .. وأمام زعامة جديدة اشتهرت بالعنف والدموية تظهر على المسرح .. وأمام مواقف مستفزة .. يجب أن نعالجها بحكمة .. وبإجماع عربى .. وتشاور .. وجمع للكلمة وإعداد واستعداد وتدبر ونظر بعيد .. وأُفضل أن تكون إيران فى الصورة وأن يكون لها حضور مع الصف العربى وأن يكون لها رأى .. وأن يكون المسلمون جميعاً جبهة واحدة فهم جميعاً

أطراف قدر واحد ومصير واحد .. وإيران فى قلب الصراع وليست مجرد مشاهد .

وإسرائيل لن تحاربنا وحدها .. بل سيكون وراءها مكر الغرب كله وجبهة الاستعمار القديم والحديث والأطماع الاقتصادية والبترولية التى يسيل لها لعاب المستغلين من كل لون والدعم الأمريكى الظاهر والخفى .

والانزلاق إلى مثل هذه الحرب الكونية التى يدفع بها الحقد اليهودى ليروى الغل الذى يعشش فى ظلمات النفس اليهودية .. هو أمر له سوابق .. على مدار التاريخ .. والخطر حقيقى وقائم .

يقول ربنا عنهم .

« كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » .

فهذا دأبهم دائماً .. إشعال الحروب والثورات .. فهم كانوا وراء الثورة الفرنسية وكانوا وراء الثورة البلشفية وكانوا وراء الحرب العالمية الأولى والثانية وكانوا وراء كمال أتاتورك واليهود الدونمة .. وكان سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا بكيدهم ومكرهم .. وكانوا يحيطون بالسلطان عبدالحميد إحاطة السوار بالمعصم .

والدموية التى يمتلىء بها شارون لم يأت بها من فراغ.. فهى ميراث يتوارثه كبارهم فى الجينات .

وهذا دأبهم .. إشعال الحروب .. والكيد والتآمر للفوز بالغنائم .

والمأزق الذى يسير إليه تاريخ المنطقة هو اليوم من صناعتهم وتدبيرهم ..

لقد زرعوا بذوره .. وهم اليوم يوشكون على الحصاد الوفير .. ولكنى أرى أن الله سوف يطفىء هذه النار التى أوقدوها .. وأن

الحكماء من العرب سوف يخمدون ما تبقى من جذوة تلك النار .. فإن عادوا إلى النفخ فى النار .. فسيكونون هم وقودها ..

والمستقبل مازال فى رحم الغيب وجنين الشر يتخلق من سوء نواياهم .

والله من وراء القصد .

وهو وحده صاحب الكلمة .. لا شارون ولا باراك ولا مجلس الحاخامات .. ولا أنصح بالاستهانة بإسرائيل ولا أنصح بالاطمئنان إلى هوان شأنها .. فصغار الفئران تأكل صوامع الغلال عن آخرها .. فما بالك بفئران تأكل بأسنان أمريكية وتهضم بشهية صهيونية وتمتلىء بالغل الأزلى .. ومعظم النار تأتى من مستصغر الشرر .. والنار تسكن قلوبهم من الأزل .

ولا أحب المبالغة .. ولكن الحذر واجب .

●●●

على حافة الزلزال

المتهم

١١

فضائية الـ .B.B.C الشهيرة التى تبث برامجها من لندن والتى اشتهرت بالبرامج الجادة الموثقة هى أول فضائية أوروبية جادة تقدم برنامجا كاملا عن شارون ليس بصفته السيد شارون أو الرئيس الإسرائيلى شارون .. بل بصفته « المجرم » شارون والمدبر الحقيقى لمذبحة صبرا وشاتيلا والذى يجب أن يُقدم إلى محكمة حقوق الإنسان ليلقى جزاءه على ما فعله بحق الأبرياء الذين ذُبحوا وبحق الدماء التى سُفكت والنفوس التى أُزهقت دون جريرة ودون ذنب سوى غرامه بالقتل والعدوان والترويع والتمثيل بجثث القتلى ليُشبع شهوة لا ترتوى إلا بالدم ..

والفضائية البريطانية تعيد فتح هذا السجل الخطير لهذه المجزرة التى حدثت منذ سنوات ولم تأخذ حقها من البحث ولمناسبة أخرى هى عودة الرجل ليتصدر الأحداث وليصنع التاريخ بصفته رئيس إسرائيل وليطل علينا كل يوم بمذبحة جديدة وليوالى هوايته الدموية فى التقتيل بلا مبرر والعنف بلا مسوغ وليغرقنا فى صدامات مشتعلة تصبح موضوع الساعة وتتحول إلى عناوين الأخبار وأعمدة الحوادث فى نزاعات سياسية وخلافات يومية تتراوح فيها وجهات

النظر ولا تستدعى كل هذا الجنون الإجرامى والشهوة الدموية البغيضة والفجة .

والعلة فى نظر الـ .B.B.C أصبحت فى شارون نفسه وفى طبيعته الدموية التى تحول كل موقف إلى مناسبة للانتقام وفرصة للتشفى وسانحة للولوغ فى الدم .

ورأينا التليفزيون الإنجليزى يطرح إلى الوراء جميع تحفظاته ويأخذ المبادرة بشجاعة يُحسد عليها ويتناول الموضوع باعتباره قضية إنسانية فى المقام الأول وحالة عصبية لزعيم بلغ أقصى درجات التطرف وتخطى الأسلاك الشائكة وتجاوز كل المحذورات .. ولم يبق هناك إلا خيار واحد هو اعتقاله ومحاكمته للحفاظ على الأمن العام .

هذا السفاح الطليق خطر على الأمن العام وعلى الأعراف السياسية للعالم وعلى سمعة النظم الديموقراطية ذاتها .. هكذا يوصف شارون الآن فى فضائية الـ .B.B.C .

وهذا ما تقوله برامجها ونشراتها فى إقناع وهدوء وموضوعية وأدب إنجليزى يُحسب لكل من أشرف وكتب وأخرج هذا العمل الإعلامى الممتاز وهذه الرؤية السياسية فى زمن اختلت فيه كل المقاييس .

وفى قرآن المسلمين كما فى التوراة الأصلية التى نزلت على موسى أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .. وذلك لأن النفس لها قدسية وحرمة لأنها كلمة الله .. وقاتل النفس يكون قد انتهك تلك الحرمة واستحق أقصى العقاب .

وهذه هى التهمة موضوع النظر والمحاكمة وموضوع البرنامج وموضوع كلامنا .

والقصة تبدأ فى صبرا وشاتيلا وفى العام ١٩٨٢ وفى ساعة مشئومة قامت فيها القوات الإسرائيلية بإخلاء أماكنها فى خيام وبيوت اللاجئين الفلسطينيين بأمر من شارون وكانت تلك القوات على أيامها هى السلطة الحاكمة والمتحكمة فى هذه المخيمات .

وسمح شارون لميلشيات الكتائب المسيحية باحتلال الموقع مكان قواته بالكامل وهو يعلم ما بين هؤلاء المسلمين الفلسطينيين وما بين هذه الميليشيات المسيحية من عداوات وصراعات مشتعلة .. ويعلم بما حدث فى بيروت من حروب أهلية دامت أكثر من ست عشرة سنة بين المسلمين والمسيحيين تشهد بهذا العداء المستعر الذى لا تخمد ناره إلا ليشتعل من جديد ..

وشارون كان يعلم إذن بالعاقبة الخطيرة لجريمته وكان يعلم بأنه سوف يضع النار إلى جوار الحطب .. ولكنه فعلها بلا تردد وظن أنه يستغفل الكل وأنه يغسل يديه من القنبلة الموقوتة التى سوف يفجرها.. وأن ما سوف يحدث سوف يجرى من وراء ظهره .. وأنه سوف يفاجأ كما سوف يفاجأ الكل دون أن يكون له يد فى شىء ..

وما جرى كان يفوق الخيال ..

فى ساعات قليلة انطلق رصاص الميليشيات المسيحية من كل جانب ليحصد حول الألف قتيل من المسلمين الفلسطينيين النائمين فى غرف نومهم .. وكانت الرشاشات والقنابل اليدوية تنسف البيوت وتقتل الأطفال والرضع والحوامل وتحول المنطقة إلى كومة من الدمار المشتعل .

وسقط الأطفال فى أحضان أمهاتهم والأولاد بين أذرع آبائهم .

ثم خيم صمت كئيب .. وانتشرت رائحة البارود ودخان الحرائق فى كل مكان .

وكان المشهد الرهيب الذى أخرجته الـ .B.B.C من طوايا النسيان ومن ظلام العدم ومن أرشيف التاريخ .. شيئا فظيعا لا يصدق .. وجاءت بالشهود .. ما تبقى حيا من الشهود .. ومن العائلات .. نفس العائلات التى حضرت المأساة .. واحدا واحدا .. ليتحدث بما رأى وشاهد .. وليعيد تجسيم الأهوال كما حدثت بين الصراخ والدموع والتشنجات .

وأخرجت الكاميرا الذكية مناظر الأشلاء .. والسيقان المبتورة .. والأيدى المقطوعة .. والبطون المبقورة .. بنفس صورها من الواقع ومن أقوال الشهود ومن الملفات القديمة .. لتشهد .. وتوقع ببصمتها الرهيبة على ما حدث ..

كان المشهد فظيعا ومقززا يخرق عيون المشاهدين ..

وماذا بعد ؟!!

لم يبق شىء يقال يا سيد شارون .. أنت الآن متهم .. ومحاصر من جميع الجهات .. وكل الأدلة والشواهد تقول إنك المسئول الأول .. وإنك القاتل الحقيقى من وراء الأحداث وأنت غارق فى أوحال الجرم حتى أذنيك شئت أم أبيت .

ولم يبق إلا تحديد اليوم القريب لنهايتك .

وعليك أن تنتظر قائمة الاتهام الطويلة وحكم الإعدام أو المؤبد .

ولا مهرب .. فالحلقة تضيق شيئا فشيئا حول رقبتك ..

ولن يبقى لك مخرج .. ولن تجد لك عذرا .

وإذا طال عمرك وطالت يدك ضحايا أكثر سوف تتضاعف أحمالك وتزداد آثامك وتتراكم ذنوبك .. ونفسك الآن هى عدوك وفعلك هو خصمك وجرائمك هى الشهود عليك .

هل سمعت عن رجل هرب من نفسه ..

لم يظهر بعد فى التاريخ هذا الرجل ولن يظهر .

فأين يذهب .. وكيف يخرج من نفسه وإلى أين ؟!! وهذا حالك ومنوالك ..

ولا وجود للآخرة فى التوراة التى بين أيديكم .. فقد حرص الحاخامات القدامى على محو كل ذكر لها .. حتى تكون الدنيا هى كل شاغل اليهودى وكل همه .. وهو محو لن يغير من الأمر شيئا .. فبعد الموت سوف تأتى الصحوة التى تتجمد لها الأوصال وتشخص لها الأبصار وترتجف القلوب .. وسوف تُفتح الستار على مشهد الصدمة التى لا فواق منها .. إنها الآخرة .. والمحكمة الأخرى فى الدار الأخرى .. دار الحق .. التى يحكم فيها الحق بالحق .. وذلك هو الهول الأكبر يا سيد شارون فلن تكون هناك صحافة تساندك ولا أيد تصفق لك .

ولن تستطيع أمريكا ساعتها أن تصنع لك شيئا .. وربما فوجئت بكلينتون وآل جور فى الزنزانة المجاورة لسيادتك .. وللقتلة والظالمين والجبارين لا يوجد سوى جحيم الأبد .. وعذاب الديمومة .

وليس عندى وصف لهذا الجحيم ولا معرفة به .. ولا أدرى ما الأبد وكيف يكون .. فأنا لا أعرف إلا الزمن الذى ينصرم فى ثوانٍ ودقائق وساعات وأيام وليال وشهور وسنين وآجال وقرون .

أما الأبد وعذاب الأبد والعياذ بالله فهو عذاب يفوق تصورى .

ولن نكون أجسادا ترابية ساعتها وإنما نفوسا تتحمل حرارة النيران .. وسوف تتخاطب تلك النفوس وهى فى النيران وسوف تصرخ وتستنجد .. وتصخب وتلعن .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر: ٣٧]

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧]

وسوف نتعرف على بعضنا البعض بنفس صفاتنا وملامحنا .

وسوف يكون التواصل بيننا فى الآخرة فوريا ومباشرا وبدون وسائط .

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ [الصافات: ٥٤]

﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥]

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٦ – ٥٧]

هذا رجل فى الجنة يُكشف له عن صديقه فى النار فيشاهده لفوره فى أعماق الجحيم ويكون بينهما حوار .. وسوف تتحمل النفوس حرارة النيران وسعير الجحيم لأنها ليست ترابية كالأجساد بل هى من طبيعة أخرى شبه نارية متناسبة مع بيئتها .. وسوف يتحاور أهل النار ويتلاومون .. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨]

وسوف يتشاجرون ويختصمون .

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص: ٦٤]

وستكون فى النار حياة وطعام وشراب .. ولكن بئس الحياة وبئس الشراب .

إنه عذاب ولا موت فى جحيم دائم .. أو نعيم ولا موت فى الجنة .. وأبدية مستمرة فى الحالين ..

وصانع هذه الأبدية هو العليم القادر الذى ليس كمثله شىء .

ولو أرسلت بصرك إلى الكون حولك وتأملت السماوات وعجائبها ودقائق صنعتها الباهرة لن تعجب أن يصنع خالقها عوالم أعجب وخوارق أكثر إبهارا ..

إنه الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وليس نيوتن ولا أينشتين وليس هذا ولا ذاك من سادة البشر المحدودى العلم والقدرة ..

إنه المتعال الذى ليس كمثله شىء ..

وحكاية فضائية الـB.B.C .. ومحكمة حقوق الإنسان فى بلجيكا .. ومرافعات أساطين القانون عنك .. وافتتاحيات الصحف التى سوف تلوك سيرتك .. والحكم بسجنك .. كل هذا سيكون حدوتة لطيفة بالنسبة للهول الذى ينتظرك فى آخرتك .. وبالنسبة لمشهد النار والزبانية والجحيم الأبدى .

والحكم ساعتها هو عذاب أبدى لا قبل لعقل بشرى بتصوره .

ولن يشفع لك موسى ولن يتوسط لك داود .. وسوف يتبرأ منك كل أنبياء بنى إسرائيل من يوسف إلى أشعيا .. ولن يقف إلى جانبك مخلوق .. حتى إبليس سوف يخلع يده من صحبتك الشائنة .. وينكرك وينكر معرفتك ويلعن اليوم الذى التقاك .

وحكم محكمة « الهيج » سيكون أرحم بكثير .. يا سيد شارون .. تقبل السجن بروح طيبة فهذا نصيبك ..

والمؤبد هنا أفضل بما لا يقاس من المؤبد هناك فى أسفل سافلين .

وربما خفف اعترافك بالذنب بعض ماينتظرك فى الآخرة من سوء .

هى نصيحة من خصم ..

ولن تجد لك فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا خصوما .

فمن يحب الظلم وأهله ..؟!!

ومن يحب العدوان ..؟!!

ومن يعاشر الكراهية ..؟!!

ومن يأمن إلى الضغينة ..؟!!

إن اسـمكم الذى اختـرتموه .. هو الماسـون .. أى البناؤون الأحرار .

ولكنكم الهدامون حقا .. تقتلون وتشردون شعبا من ١٧ مليون مواطن .. لتبنوا هيكلا..؟!!! أهذه عدالة ؟؟!

وهل السبعة عشر مليونا هم القرابين البشرية التى سوف تقدمونها للمذبح تحية للهيكل .. أى هيكل هذا وقد قال نبينا محمد صلوات ربى وسلامه عليه عن الكعبة .. لأن تُهدم هذه الكعبة ويُدك بنيانها أهون عندى من أن يُظلم إنسان ويُعتدى عليه زورا وبهتانا .. صدق رسول الله .

إن لم يكن ما تفعلونه بالفلسطينيين يا سادة هو الوثنية البربرية فماذا تكون ؟!

إن سليمان الذى بنى الهيكل يلعنكم جميعا .

فما أنتم بناؤون وما أنتم بأحرار .

بل أنتم برابرة هذا الزمان وشياطينه .

على حافة الزلزال

١٢

اسرائيل الوجه القبيح لأمريكا

شارون بلغ الذروة من تحقيق النجومية فى الإجرام بنسفه لبيوت اللاجئين الفلسطينيين وهدمها على رؤوس من فيها وإزالتها من الطريق بالجرافات .. عشرات المنازل يتفرج عليها وهى تنهار على ساكنيها وتتحول إلى أنقاض ويخرج منها أشباح ووجوه مغبرة وتتصاعد إليه احتجاجات الشارع الأوروبى ومنظمات حقوق الإنسان وتلعنه الصحف والإذاعات وتحتج عليه أمريكا ذات الوجهين وهى التى تمده بالصواريخ والقنابل وهى التى تساندە وتؤيده فى كل المنابر .. ربما لتستر عارها وتغطى على فضيحتها ولتتبرأ من إجرامه الذى بلغ درجة العهر .. لكن الزور والبهتان والإفك يغطى على الألسن الكاذبة والضمائر الخربة .. فهى شريكه المسئول عن كل ما فعل ..

من الذى أعطى إسرائيل طائرات إف ١٦ الهجومية .. اليست هى أمريكا بعينها ؟؟!!

ومن أجل ماذا أعطت أمريكا إسرائيل تلك الطائرات .. من أجل نزهة شم النسيم ؟؟!!

وفيما كان الاحتجاج الأمريكى ..؟!! حينما احتجت وارتفع صوتها لقصف شارون قرى فلسطين بهذه الطائرات ..

أكان لهذه الطائرات استعمال آخر غير الهجوم وإسقاط القنابل ..
وما يقال عن الطائرات يقال عن الصواريخ والمتفجرات والدواهى من كل شكل ولون ويقال عن نسف البيوت وقتل الأبرياء .. ويقال عن تشريد الأطفال .. وقتل الأجنة فى أرحام الأمهات ويقال عن اصطياد الناشطين فى القيادة الفلسطينية .. ويقال عن كل المصائب التى تصنعها إسرائيل ..

وشارون قاتل ومجرم وملطخ اليدين بالدم فى كل هذه الجرائم .

وأمريكا شريك فى القتل متآمر ومتستر على كل هذه المخالفات .

والمشهد مخجل ومشين ومزر ..

أن تتآمر أكبر دولة وأقوى دولة على قتل وتشريد أطفال وعجائز ورضع وأيتام وأن تتواطأ على تشريد أمة بأسرها ..

إن يد شارون الملوثة التى تقطر بالحقد وبالكراهية لوثت اليد الأمريكية ولوثت الضمير الأمريكى ولوثت السمعة الأمريكية وجعلت من أكبر دولة خادما لأحط دولة وشريكا فى أحط الأغراض بلا داع وبلا مسوغ .

إن شارون يسير بقدميه إلى زنازين مجرمى الحرب .. فأين تريد أمريكا أن تسير بنفسها خلفه .. وكيف تهبط بنفسها إلى هذا الدرك المظلم .. وما حاجتها وهى أغنى وأعظم دولة .. إلى أن تكسب لقمتها بالظلم والجور والعدوان على الضعفاء .. وإلى أن تضع نفسها فى خدمة المجرمين والسفاحين المحترفين أمثال هذا الشارون ..

وأين صوت الحكماء والعقلاء وأهل الحجا والخبرة فى هذا البلد الكبير ..

وما حاجة دولة كبرى أعطاها الله قارة تنفرد بخيراتها .. فى أن

تشترك مع هذا الأفاق الأثيم وتقاسمه مصيره ولقمته المغموسة بدم الأبرياء .. وتلوث نفسها بنذالته وأغراضه وعدوانيته ..

أما لها من وقفة مع النفس وتأمل لما يحدث .

إن الذين يوسوسون لها بأن المنطقة العربية هى منطقة البترول ومصدر الطاقة للعالم ولابد أن يكون لها مطلق السلطة فيها .. نقول لهم .. ألا تملك أمريكا بالفعل هذه السلطة دون حاجة إلى هذا التواطؤ الإجرامى المخجل مع إسرائيل .. ألم يعطها العرب الزمام والكلمة العليا والقيادة والأفضلية فى كل شىء .

وأين هذا الذى سوف ينافس أمريكا فى موقعها القيادى؟!!!

لا أحد .

إن اليهود يصنعون أوهاما لتكون لهم حظوة ورأى وفرصة للتدخل .

وهم قد صنعوا دمية اسمها الإرهاب الإسلامى .. لتكون لهم تكأة للتآمر ومباشرة العدوان والتصدى لحماية الذئب الكبير من الحملان الضعفاء .

ولا خطر هناك على هذا الذئب الكبير ولا على قبيلته من بنات آوى .

ولا موجب لكل هذا التآمر .

إن يهود إسرائيل هم الذين يعكرون الماء ثم يقولون للذئب .. انظر هذه الشاة هى السبب .. وعلينا أن نأكلها أولا لنطمئن على حياتنا ومستقبلنا ..

اللؤم لؤمهم .

والوقيعة وقيعتهم ..

والإرهاب الإسلامى هو الدمية التى ينفخون فيها الروح كلما أرادوا أن يأتوا بمنكر أو يدبروا مصيبة للمسلمين .

وشارون انحدر بأمريكا إلى درك إجرامى ما كان لها أن تنزل بنفسها إليه .

وقد أذن الوقت بصحوة تتدارك فيها نفسها وتنفض أيديها عن هذه الصحبة القاتلة وتخرج من هذا الحضيض .

إن شارون قد وضع عنقه فى المشنقة بالفعل منذ أيام صبرا وشاتيلا ويريد أن يضع الرقبة الأمريكية والسمعة الأمريكية فى نفس المشنقة القاتلة معه .. بل هو قد وضعها بالفعل فى الخية .

وهو ماض فى وحشيته وجرائمه إلى ذروة لا يعلم إلا الله مداها ومنتهاها .

وقد آن الأوان أن تنفض أمريكا يدها من هذا الرجل الكارثة ..

ولا أخص شارون دونا عن باقى العصابة الصهيونية .. بيريز وباراك ونتنياهو .. إلى آخر حبات المسبحة اللا مباركة فكلهم فى البلاء سواء .. وبيريز الذى يدعو فى الظاهر إلى المصالحة هو نفسه صاحب مذبحة قانا التى قتل فيها المئات من اللاجئين اللبنانيين فى خيامهم .. وبأمر منه وبتوجيهه .. وكلهم صهاينة مذهبهم واحد وطريقهم واحد ويقينهم واحد أن القتل هو سبيلهم إلى الحياة ..

الهولوكوست صناعتهم وهوايتهم ..

وكان احتجاجهم على ما أقام هتلر من مذابح .. أنه سبقهم .

كيف فعلها هتلر ولم نفعلها نحن ..؟!!

كيف سبقنا إليها ..

أفعالهم كلها تقول ذلك ..

ومذهبهم يقول ذلك وضميرهم كان يتحرق شوقا إلى تلك الدموية والشراسة .

وقد رأينا بريز وشارون وباراك يتسابقون فى هذا المضمار الدموى ويتفوقون فيه .

إن الأفعال وحدها هى التى تكشف من خفايا النفوس وهى التى تدل على النيات وتفضح البواطن .. وباطن الصهاينة كان يقطر حقدا وغلا ودما منذ البداية .. وكان يحركهم ثأر تاريخى وشعور بالاضطهاد حملوه معهم من طفولتهم من قديم ..

وقد جاؤوا إلى الدنيا بهذا الثأر ..

وقد خلق الله الدنيا لتشهد علينا أفعالنا ونوايانا ولتكشف عن خبيئتنا .

وما يزال الشيطان يستدرجنا حتى نقع فى كل محذور وممنوع .. وهذا دوره .. ومن أجل هذا خُلق .

وهو مجند وإن ظن نفسه ثائرا متمردا .

وهكذا ظن كل الثوار أنفسهم ثوارا .. وما كانوا إلا جنودا مسخرين .. وعبيدا يرسفون فى أغلال أحقادهم من البداية .. وما كانت الثورات إلا تعبيرا وكشفا عن نيات ثوارها من البداية ..

وقد جعل الله الدنيا مسرحا للامتحان فهى دار بلاء وليست دار إقامة .

وأهل الجنة وأهل الجحيم معلومون عند الله من البداية وأفعالهم معلومة مقدما فى كتابه .. ولكن الله أراد أن يكون هناك امتحان سدا للذرائع وحتى لا تكون هناك أعذار ولا تعلات .. وأن نقف أمام خالقنا متلبسين بجرائمنا وأن تأتى الأحكام النهائية قاطعة جميعها لا مراء

فيها ولا جدال .. جميعها على المحجة البيضاء .

لأنه سيكون ساعتها القضاء النهائى .. بالخلد فى الجنة أو الخلد فى الجحيم بلا وسط ..

سيؤتى بعضنا كتابه بيمينه .. وسيؤتى بعضنا الآخر كتابه بشماله ..

ولم يذكر القرآن وسطا ..

إنما هو خلود فى الجنة أبدا .. أو خلود فى النار أبدا .. ولا وسط .

وكل ما جاء بالقرآن .. أن هذه النار درجات .. وأن الجنة مثلها درجات .. فالنار لها في القرآن سبعة أبواب ..

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٤]

كما أن للجنة أبوابا ثمانية .. وبالتالى درجات ثمانية .

ولا أحد يعلم عن هذه الدرجات شيئا .. فالأمر كله غيب .

والجنة غيب .

كما أن النار غيب .

كما أن القيامة والآخرة والحشر والحساب كلها غيب .. والأقدار التى تجرى علينا فى الدنيا غيب .. وحقيقة القدر ذاتها غيب .. وإن كان مفهومها الظاهر .. هو مباشرة الحرية فى الفعل اليومى الذى تباشره ذواتنا رفضا وقبولا لكل ما يعرض علينا من أعمال وملابسات فنختار أن نفعل أو لا نفعل .. والاختيار نفسه يختلف فيه الفلاسفة فينكره البعض ويعترف به البعض .

والاختيار فى نظرى حقيقة لا شك فيها .

ولكنا لا نختار سوى نفوسنا كل مرة .

والاختيار هو الكاشف الحقيقى لهوى نفوسنا .. وهو بهذا المعنى حقيقة مطلقة .. لأنها أساس المسئولية والجزاء وأساس الجنة والنار .

وبدون الاختيار لا يكون للجنة والنار أى معنى ولا يكون للحساب أى معنى .

هل ذهبنا بعيدا عن حكاية شارون وإجرامه ؟!!

بل نحن فى صميم الموضوع .

فأنا أرى أن الرجل قد اختار نفسه الأمارة بالفعل .. وأنه قد اختار الجحيم .. وأنه يسرع إليه بخطوات حثيثة .. وأنه هو وقبيلته بضعة من جهنم .

وأنه يسير إلى قدره الغشوم وإلى نهايته الدموية لن يرده شىء .

وأرجو أن يدرك عرفات وجماعته هذه الحقيقة حتى لا يضيعوا أنفسهم فى حوارى لجنة ميتشيل وتوصيات تينيت كما ضيعهم بيريز من قبل فى حوارى أوسلو وأزقة كوبنهاجن .. فهؤلاء الناس كذابون دجالون كلهم .. وهم ماكرون مضللون بطبيعتهم ..

فليحاول عرفات أن يخطط للمواجهة بعقلية قتالية .

إن شارون يخطط لنهاية تصادمية ولا يعمل من أجل أى تفاهم .

وعلى عرفات أن يدرك هذه الحقيقة ويستوعبها ويخطط لها هو ورجاله ويضع خطته على أساسها ..

وشارون يتصور أن الوقت المناسب قد حان للقضاء على المنظمة الفلسطينية وللتنكيل بها وتشتيتها والخلاص منها إلى الأبد .. وأخذ من الآن يحصى القتلى من رجاله ومن رجال المنظمة .. وأنه سوف يحصد الألوف فى مقابل بضع مئات .. وهذا ما يدور فى رأسه العفنة .

وعلى عرفات أن يتصرف بغريزته الكفاحية وأن يعد نفسه لكل المخاطر المحتملة وألا يدع الفلسطينيين يذهبون فريسة للقتل المجانى .

وعلى كل الحكومات العربية أن تقف وراءه بالدعم والمساندة وليفهم الكل أن فلسطين هى الخطوط الأمامية للعرب جميعهم .. وأنهم جميعا ليسوا بمعزل عن هذا النضال وليسوا فى مقاعد المتفرجين .. وأن الشرر .. سوف يطولهم اليوم .. والمواجهة سوف تطرق أبوابهم غدا .. وأننا لا نتكلم عن قارة أخرى .. بل عن خطر يهدد عتبة بيتنا العربى كله ..

اللهم قد بلّغت ..

اللهم افتح بصائر كل من عميت بصائره ..

اللهم نصرك الذى وعدت ..

على حافة الزلزال

المستقبل لنا يا اسرائيل

١٣

■ آخر أخبار المباراة بين إسرائيل والفلسطينيين هى شهيد فلسطينى فى مقابل ٢١ قتيلا إسرائيليا وعشرات الجرحى بعضهم فى حالة خطرة .

وهى ليست مباراة كروية .. وإنما مباراة دموية تتكرر هذه الأيام بين قسوة تتصاعد إلى درجة الوحشية وغضب يتصاعد إلى درجة اليأس والانفجار .

ظلم طاحن فى جانب يؤدى إلى تصاعد الغضب فى الجانب الآخر ولا تجد الضحية وسيلة سوى أن تنفجر فى جسم جلادها ليتلاشى الاثنان فى احتجاج مدو واستشهاد رهيب يصك آذان الملأ الأعلى فى السموات وتصعد روح الشهيد إلى بارئها راضية مرضية .

وتتفتت القلوب فى إسرائيل ذعرا وهلعا ويطحن شارون على أضراسه من الغيظ ويتملكه الرعب وهو يرى زهرة شباب إسرائيل تذوى وتختفى أمام عينيه ..

ويُصَعد شارون من قسوته وجنونه لإرهاب الطرف الفلسطينى ويفاجأ بكتيبة الشهداء تتسابق إلى الموت يفجرون أنفسهم الواحد بعد الآخر فى فدائية مرعبة ويسقط المئات قتلى وجرحى ..

ويفكر شارون فى تمزيق الشعب الفلسطينى إلى كانتونات

محاصرة بالخنادق والمتاريس .. ولكنه يفاجأ بالأرض التى يقف عليها تهتز من تحته وتنهار عمارة من ثلاثة أدوار ويختفى سبعون قتيلا تحت الردم فى ليلة فرح ويتحول حفل الزواج إلى مأتم مرعب ويتعالى الصراخ والبكاء ويلعن الكل شارون وأيامه والزمن الذى ابتلاهم به .

ويفكر شارون فى السفر إلى أمريكا وطلب المدد من النصير الأمريكى ويفاجأ بانفجار جديد وخمسين قتيلا وأشلاء ودماء تلطخ أعمدة الصحف والمجلات .. ويتكور على نفسه من الألم وقد تلاشت خططه وتبخرت الأفكار من دماغه .

ويلغى فكرة السفر ويقعد يطحن أضراسه فلن يتلقى من الأمريكان عونا ولن ينال منهم إلا لكمة تدمى أنفه ونقدا شديدا لتهوره وجنونه ..

وعداد الموت لا يتوقف ..

والموتى الذين ينفجر فيهم الفلسطينيون يتصاعدون عددا يوما بعد يوم .

وتمسى تل أبيب وتصبح على انفجارات دموية وقتلى وأشلاء مبعثرة .

وتتحول شوارع فلسطين إلى جنازات شهداء تدوى بتهويم التسابيح كخلية نحل لا تعلو فيها إلا كلمة الله أكبر .

وتفقد إسرائيل كل يوم شيئا أخطر من شبابها .. تفقد السمعة التى تتاجر بها .. سمعة الشعب المظلوم المضطهد الضحية .. وتلاحقها صفات .. الشعب الكذاب الدجال القاتل السفاح الدموى .. وتصبح الوجه القبيح الكريه الذى يطل علينا كل يوم بأكاذيبه وجرائمه ووحشيته وتبجحه .. وتتحول إلى المتهم المراوغ البغيض الذى يدفع

عن نفسه سوابق الظلم والتعدى والإجرام .. وتجرجر إسرائيل معها شريكها الأمريكى فى كل مصيبة ويتحول اسمها إلى غول ملوث يقطر دما وإلى محتال مدلس محترف يقتات بالأكاذيب .

إسرائيل اليوم تفقد رصيدها كل يوم وتفقد شبابها وتفقد سمعتها وتفقد ماضيها وتتحول إلى مسخ كريه مرفوض حضاريا ومرفوض سياسيا ومرفوض إنسانيا .

وجرائمها تلقى بظلها على الشريك الأمريكى وعلى الشريك الأوروبى وعلى شعوب العالم المتفرج الصامت كله .

وهناك تحول تاريخى إلى افتضاح كل دعاويها وأكاذيبها .

وهناك رفض لوجودها ينمو ويتأصل على جميع الجبهات .

وهذه القنبلة الصامتة هى أخطر تحول سوف يأكل الرصيد الزائف من الأكاذيب اليهودية وسوف ينسف البنيان الإسرائيلى من أساسه .. إنه الوعد الذى ينمو من رحم المأساة .

الزمن الآن ضد إسرائيل وليس معها والتاريخ ضدها وليس معها .

والعالم الذى فطن إلى أكاذيبها سوف يكون عونا لنا ضدها ولن يكون معها .

لقد تعرت الآن إسرائيل وظهرت للجميع عوراتها وأحشاؤها وأباطيلها وأطماعها ..

والذين يشهدون معها سوف يشهدون ضدها .

والذين يعملون لبقائها سوف يعملون لزوالها .

لقد برح الخفاء وانكشف الخواء .

هناك جنين تاريخى اسمه الحقيقة ينمو ويتكامل مع الزمن ..

جنين لشىء بغيض كريه لن يختلف اثنان على كراهيته .

وغدا سوف يخطو التاريخ على بصيرة .. وسوف تتحول جميع المؤشرات لتكون ضد إسرائيل ..

وسوف ينال الجرم الإسرائيلى عقابه ..

ولا أقول هذا الكلام من فراغ بل من شواهد .

والخلاف بدأ من داخل البيت الإسرائيلى نفسه ..

ونسمع صوت الاعتراضات على تطرفها من داخلها ..

ونسمع الانقسامات فى الكونجرس حول أفعالها وهناك محاذير تظهر على استحياء فى الصحف العالمية هنا وهناك عن التطرف الإسرائيلى وعواقبه الوخيمة .

وإسرائيل الآن تخطو خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف .

وفى أوروبا يشاهدون الفلسطينى الذى يفجر نفسه ؟!!. ويشعرون بالدهشة لما يفعل ..

ويتساءلون بحكم فطرتهم العقلانية .

هل يمكن أن يكون هذا الفلسطينى الذى يفجر نفسه ليموت .. كذابا .. ؟!! استحالة .. هذه لحظة يستحيل فيها الكذب .

هذا رجل يقدم نفسه وحياته مصداقا لكل حرف يقوله ولا يمكن أن يكون إلا صادقا .

والقضية تعود لتطرح نفسها من جديد رغم أنف الإلحاح الإسرائيلى والكذب الإسرائيلى والدجل الإسرائيلى .. وبين ألف واحد مخدوع يقفون إلى جانب إسرائيل .. سوف يقف عشرات ومئات مع هذا الذى يفجر نفسه ليعيدوا قراءة الحقيقة من جديد .

إن الظلم الجهير يخرق العين ويفجر العقل ويوقظ القلب .

ولن يستطيع الكذب والاحتيال أن يملأ وعاء الحقيقة بعد ذلك أبدا .

والانفجار المدوى الذى يتناثر فيه الفدائى ألف قطعة .. يقول شيئا ..

يقول .. أنا مظلوم ..

تداركنى برحمتك يا رب ..

تلك لحظة يستحيل فيها الكذب ..

هنا رجل يقسم بكل خلية فى جسده وبعدد خلايا دمه وبعدد أنفاسه .. وبعدد دقات قلبه .. وبروحه وذوب نفسه .. على ظلم وإجرام الجار الإسرائيلى .. من نصدق ..؟!!

هذا الرجل ..؟!! الذى لا يمكن أن يكون كذابا .. أم إسرائيل بلؤمها وعدوانها ..

أم اللئيم بيريز صاحب مجزرة قانا الذى يسيل لعاب الكذب من شفتيه .. وتنزلق أذن المستمع على أرض صابونية زلقة من الأكاذيب التى يرويها وهو يتكلم بكلمات غامضة ملتوية عن أشياء لا رأس لها من ذنب .. مرة اسمها أوسلو .. ومرة اسمها كوبنهاجن .. إلخ .. إلخ.. زلاجة من الأكاذيب .. أين هى من تلك اللحظة الوجودية الهائلة لذلك الشهيد البطل التى تصبح فيها كلماته هى عين حياته ونبض وجوده وخلاصة نفسه .

هنا حياة تقدم فى سخاء وتضحية خالصة تبذل كريمة عظيمة مدوية .

وهناك مع صاحبنا المحترف بيريز .. كلام .. أى كلام .. ومجرد كلام فى كلام ..

وما أسهل الكلام ..

لا يوجد عداد على الأفواه .
وبعض الكلام أقتل من السم الزعاف .
وبعض الكلام لا يساوى مشقة نطقه .
وبعض الكلام مجرد صنعة .. وحرفة ..
إنما حقائق القلوب هى الموضوع .. وهى دائما أفصح من كل كلام ..
ولحظة الموت لا تنطق القلوب إلا عن حقائقها ..
نعم .. يا سادة .. لا يقول الشهداء إلا حقا .. ولا ينطقون إلا صدقا .
وسوف يتغير كل شيء .. وسوف يكسب الفلسطينى كل يوم حلفاء جددا وأعوانا جددا وأصدقاء جددا .
وسوف تبدل إسرائيل كل يوم جلدها الإنسانى بجلد خنزيرى أسود وسوف تخسر كل يوم حليفا .. وسوف ينكشف زيفها وكذبها
وكل يوم سوف يتقدم الفلسطينى خطوة .
وسوف ترتد إسرائيل إلى الوراء خطوات ولن يظل العرب فى الشتات ولن يظل النائمون نياما ..
إن إسرائيل تقامر على وهم ..
وكل شهيد فلسطينى يموت منا يتقدم بنا أجيالا .
نحن نسير إلى الأمام رغم كل العوائق .
والمستقبل لنا يا إسرائيل .. والموعد الله .
إن القضية ليست حربا أو لا حرب ..
إن القضية موقف عالمى أولا .. وقناعة عالمية سوف تتغير من النقيض إلى النقيض .

من الجاني ؟.. ومن الضحية .. من القاتل ومن القتيل .. من المعتدى ومن المعتدى عليه .

من هو ضحية الأكاذيب والدعايات .. ومن الذى يشوه التاريخ ويروج للخرافة .. خرافة الشعب اليهودى المضطهد المظلوم المهضوم المكلوم .. إلى آخر هذه المفتريات .

ومن هو العنصرى حقا ويلقى بتهمة العنصرية على غيره .. ومن هو الظالم الذى يلقى بجريرة ظلمه فى وجه البشرية كلها .

حقائق كثيرة سوف تتغير .

وساعتها سوف يعلو الحق وسوف يظهر له أنصار جدد فى كل مكان .

وسوف تعود الأسماء الحقيقية إلى مسمياتها .

وسوف يتبدل كل شىء .

انتظروا .. غدا تسوُد وجوه وتبيُض وجوه .

على حافة الزلزال

عن اسرائيل وصيفها عزرائيل

١٤

درجة الحرارة فى سيبيريا انخفضت إلى ٥٧ تحت الصفر .. وفى الصين تتساقط الثلوج بغزارة وتغطى بيكين بملاءة بيضاء من الثلج المندوف يبلغ سمكها فى بعض الأماكن إلى عدة بوصات وتتوقف خطوط الطيران وتختفى الوجوه فى المعاطف الثقيلة .. وفى شمال انجلترا تعلن حالات الطوارىء .. وفى كندا تكسح الجرافات الثلوج لتفتح الطرقات وتتوقف حركة الطائرات.. وتتحول بلاد الشمال إلى ثلاجة .. وفى الجنوب أمثال بلادنا الحارة مازلنا نذكر نيران أغسطس ورطوبته الخانقة والسحابة السوداء التى جثمت على أنفاس القاهرة والحر الثقيل اللزج والدخان المعلق فى الجو وحالات الربو والاختناق وفيض المقالات عن التلوث والدخان وحرق القمامة وقش الأرز والفواخير وذكريات الصيف المريرة ..وفى أفريقيا الاستوائية وغابات الكونغو وورواندا وبوروندى تفترس الملاريا والإيدز « والإيبولا» الأبدان التى أنكهتها الحروب والنزاعات وتجرف مياه الأنهار ألوف الجثث كل يوم لتلقى بها فى البحر ومافيا الماس والمخدرات من جيش الاستعمار القديم يقتسمون ما تبقى من أشلاء هذه البلاد الفقيرة المعدمة .

وفى فلسطين تحاصر دبابات إسرائيل أطفال الحجارة وتقتلهم بوابل من رصاص دمدم المتفجر والممنوع دوليا . ويقول الحاخامات.. لا تنازل عن الحرم ولا عودة للاجئين ..وتقول آخر الأخبار إن الحفر تحت المسجد الأقصى متواصل وأن هناك عشر منظمات صهيونية تنتظر الإشارة ببدء الهدم .. وهم يسمون المنطقة حول المسجد بجبل الهيكل ويعتقدون أنها تضم فى أحشائها هيكل سليمان القديم وقد عاش « الماسون » يحلمون بهذا اليوم الذى يبنون فيه هيكل سليمان من جديد وأطلقوا على أنفسهم اسم « الماسون » أى البناؤون الأحرار وقالوا إن هذه رسالة عمرهم .. بناء الهيكل على أنقاض الأقصى .

ومن أجل هذه الأساطير سَخَّرت الصهيونية أمريكا وركبت الثور الأمريكى لتصل إلى أغراضها .. وهى تقف الآن على مرمى حجر من.. حلمها الأزلى .. وهى تدفع بالثور الأمريكى بكل ما تملك من مكر ونفوذ ولا يهمها ما تخوض فيه من دماء وجرائم لتصل إلى أهدافها .. وما فعلته فى مهزلة الانتخابات من أجل أن يفوز ليبرمان اليهودى .. رجلها المختار . مازال عالقا بالأذهان .

والعالم يغرق فى طوفان من المظالم .. وصوت الرحمة يزداد خفوتا وغطرسة الظالمين تزداد علوا .

وآل جور سقط ومعه نائبه اليهودى شكرا لله .

وبقى أن تتعامل الصهيونية مع بوش الصغير .. وبوش الكبير .. خصمها القديم .. وتخوض الصهيونية بحارا من دم فى فلسطين لإجهاض الانتفاضة ولن تنتهى الانتفاضة لأن الحق لا يموت ووراءه مقاتل واحد يقاتل فى سبيله .

والحلول التى كان يقدمها كلينتون كلها كانت صياغات لكلام قديم مرفوض .

وآخر أيام كلينتون كانت مجرد رحلات مكوكية بلا مضمون وحلول ملفقة بلا جديد .

هل يقبل ياسر عرفات أن يوقع مقدما على بياض وعلى أوهام .. وهل يملك ؟!! وهل يحق له أن يتصرف فيما لا يملك .. إن العالم يشهد جريمة مكتملة الأركان ولا يتكلم .

وفرسان حقوق الإنسان أصابهم البكم والصمم والعمى .

وسماسرة أوسلو ومدريد وكوبنهاجن أعطوا وجوههم للحائط وركبهم الخزى .

ومحكمة العدل الدولية مغلقة للتحسينات .

والقانون فى إجازة .

وحفارو القبور هم الحضور وهم أهل الوقت .. وجرافة الموتى فى يد شارون لا تتوقف .

والعرب كلهم شهود عصر وهم يعلمون جميعا أن انتصار إسرائيل فيه القضاء على أحلامهم ويعلمون أن الحرب المحدودة التى تجرى فى الرقعة الفلسطينية ليست حربا على قطعة أرض ولكنها حرب على مستقبل وحرب على سيادة وحرب على ثروات منطقة بأسرها .. وأن أجيالا كثيرة لم تولد بعد مهددة بالحرمان نتيجة توقيع يوقعه ياسر عرفات ولو بحسن نية .

إن الواجهة لما يجرى هى واجهة فلسطينية .. ولكن توابع الزلزال سوف تنال كل بلد عربى وسوف تنعكس على الأقطار الإسلامية

برمتـها .. وثأر أهل خيبر سوف ينصب على كل ناطق بالشـهادتين وكل مصلٍ على محمد فالحقد هو وقود هذه الحرب وليس إحقاق الحق .. والتنكيل وحشد أسلحة الدمار الشامل ونشر الرعب هو السمة الظاهرة لهذه القيادات الصهيونية التى أعماها التعصب .

إن الطفل سيموت بأى طلقة رصاص فى رأسه فلماذا يستعمل اليهود رصاص دمدم .. لأنهم يريدون المزيد من التنكيل والمزيد من الانتقام والمزيد من التشفى والمزيد من الولوغ فى الدم .

إن إسرائيل لا تكتفى بأن تقتل ولكنها تحرص على عنصر التنكيل والإرهاب والاستئصال والتخويف .

هذا الحقد الأسود هو لبابها وحشوتها وبصمتها التى عُرفت بها بطول التاريخ .

وأرجو أن يعلم فرسان حقوق الإنسان فى الدول الحليفة لإسرائيل والمروجة لدعاياتها هذا الأمر وأن يدركوا هذه الوحشية الكريهة .. ؟!! والبغضاء التى تسكن قلوب هذه الذئاب البشرية المتعطشة للدم .

وأن يفكروا قليلا ويراجعوا أنفسهم .. وأن يكفوا عن الكذب علينا وعلى العالم وأن يكفوا عن الترويج لهذه البشاعة .

إن الانتشار السرطانى اليهودى يهدد العالم كله وليس فلسطين وحدها .

إنه وباء القرن الواحد والعشرين وطاعون المستقبل .

والمسلمون المستهدفون فى كل مكان عليهم أن يضموا الأيدى ليصدوا هذا الخطر المتسلل عبر الحدود المفتوحة فى كل مكان وعبر الهواء والفضائيات والإعلام وعبر الصحيفة والخبر والفيلم والكتاب

ووسائل غسيل المخ التى تعبر الحدود وتنساح فى كل بيت .. فالكلمة هى الطلقة الخفية وهى القذيفة والصاروخ وهى الجاسوس الخفى الذى يغتال القلب ويلوث الضمير بكل ألوان الفساد .

وإسرائيل بلد صغير وأقلية قليلة ولا قبل لها باختراق العالم والسيطرة عليه إلا بإفساده .

وبروتوكولات حكماء آل صهيون هى ما تفتقت عنه أذهان دهاقنة الصهاينة فى إفساد شعوب العالم وحكوماته .. والبروتوكولات هى « التلمود » الذى يقدسونه أكثر من التوراة ذاتها ويستهدونه أكثر مما يستهدون كلام الله الذى نزل على أنبيائهم .. وقد لعنهم أنبياؤهم فى التوراة .. كما لعنهم المسيح فى الأناجيل الثلاثة .. كما لعنهم الله فى قرآنه .

يقول المسيح فى إنجيل متى :

إن الكتبه والفريسيين (وهم اليهود) جالسون على كرسى موسى فما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به وأما مثل أعمالهم فلا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون .

ويقول عنهم فى مكان آخر .. « الويل لكم أيها الكتبه والفريسيون المراؤون فإنكم تشبهون القبور المجصصة تُرى من خارجها حسنة ومن داخلها مملوءة عظام أموات ونجاسة » .. ويقول عنهم فى مكان ثالث مناديا عليهم .

أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم .

وعن اليهود يقول القرآن :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]

ويقول فى نفس الآيات :

﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]

ويقول عن أصحاب السبت :

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠]

هذا تاريخهم وهذا كلام أنبيائهم وكلام الخالق الذى خلقهم ويعلم سرهم ونجواهم .. وليس كلامنا ولا تأليفنا .

وهذه أفعالهم كما جاءت فى الكتب المقدسة .

وفيه ما يفسر ما جرى عليهم من اضطهاد عبر التاريخ .

ولماذا فعلت النازية بهم مافعلت .

ونحن ضد الاضطهاد بجميع صوره وأشكاله ولا نوافق على التعذيب ونرى أن الجبروت لله وحده ولا يصح أن يشاركه فى هذه الصفة مخلوق .

وما فعلته النازية لا يجوز الدفاع عنه .

وبالمثل قتل إسرائيل للأطفال هو إجرام وجبروت لا يجوز الدفاع عنه واستخدامهم رصاص دمدم المحرم دوليا هو إجرام لا يجوز الدفاع عنه .. وإسقاط أمريكا القنبلة النووية على هيروشيما ثم إسقاطها مرة ثانية على ناجازاكى رغم استسلام اليابان .. هو إجرام لا يجوز الدفاع عنه .

وسماح أمريكا لإسرائيل بامتلاك مائتى قنبلة نووية هو جُرم أمريكى فادح لا يجوز الدفاع عنه .

كل هذه بشاعات أسوأ بما لا يقاس بما فعلته النازية وبما فعله هتلر .

ونحن نعيش فى عصر البشاعات التى لا تغتفر وعصر الظلم الجهير والكذب الجهير وعصر تشويه الحقائق والتعمية على المظالم والإشادة بالجبابرة .

وإسرائيل متهمة .

وأمريكا متهمة .

وأوروبا وجبهة الاستعمار القديم متهمة هى أيضا .. والعرب متهمون بسكوتهم وسلبيتهم .

والشعوب الضعيفة هى التى تدفع الثمن من قوتها وصحتها ولياقاتها وتقدمها ومستقبلها وحاضرها وهى ملومة أيضا لسلبيتها وتخلفها .

واغلى شىء فى زماننا هى كلمة حق وموقف صدق .

وأجمل شىء فى زماننا أن المعرفة ممكنة ومتاحة وميسرة للجميع.

وراديو صغير فى حجم الكف يفتح لك أبواب الدنيا كلها بلمسة زرار .

ومازالت أول كلمة نزلت من القرآن هى المفتاح لكل شىء .

اقرأ باسم ربك الذى خلق .

اقرأ .. اقرأ هى الباب والمدخل والطريق .

اقرأ تعرف .

وإذا عرفت انفتحت أمامك أبواب كل شيء .

وقديما قال سقراط :

اعرف نفسك .

كلمات قليلة من حروف قليلة .. ولكن فيها علوم الدنيا ومعارف الدنيا وحكمة الدنيا كلها .

اقرأ يا أخي تفهم وتتعلم .. ثم يهون بعد ذلك كل شيء .

اقرأ صيحة الأديب يحيى الرخاوى التى أطلقها فى كتابه الأخير «ذكر ما لا ينقال » تجد فيها ذلك الصدى المجنون الذى يتجاوب . شعرا منثورا مع غليان اللحظة وانفجار البركان الذى نكتوى به .

ماذا يقول الأديب وطبيب النفس الشهير .. وهو يكاد ينتفض عبر سطوره ؟!!

يقول .. ماذا لم توجه الحجيج كل الحجيج (مليونين) بعد انتهاء مراسم الحج مباشرة إلى القدس .. ولا نطلب من الدول النفطية إلا أن يهيئوا لنا أوتوبيسات وسندويتشات وزجاجات ماء زمزم .. ولن يتجاوز ثمن كل ذلك قيمة بضع طائرات ف ١٦ .. ويمضى الحجيج حتى الحدود ثم ينزلون فى مسيرة لا تتوقف زحفا إلى القدس ممسكين بزجاجات الماء والسندويتشات غير مسلحين ولا حتى بالحجارة . ويبدأ الاستشهاد .. ألف.. ألفين .. ثلاثة آلاف .. أربعة آلاف .. عشرة آلاف .. مائة ألف .. خمسمائة ألف .. إلى مليون . فيبقى من إجمالى المسلمين .. ألف مليون إلا واحدا (ذهب شهيدا) .

هيا نفعلها .. نزحف حجا استشهاديا إلى بيت المقدس .. وبناقص مليون مسلم يستشهدون بالجملة بدلا من أن يموتوا بالقطاعى فعلا

ومجازا .. فى الجزائر .. وبؤر المخدرات . وموائد القمار .. وقعدات الشيشة . وخرف الشيخوخة .

من خلف أستار الكعبة السوداء . أرى أحجار الكعبة تدمع دما .. وأسمع الصمت الفارع يبكى ندما .

يا من تدلى من مشابك سترتى .. حجرى تندى خجلا .. من فرط زيف القبل.

تتمايل الأجساد .. تنتشى .. تتبلد العقول .. يا ربنا .. يا ربنا .. أدم علينا نعمة العمى ونعمة الكسل .. حرموك من شرف الألم .. فارجع رعاك الله نم .. والله يغفر للجميع .

الذاهبون . العائدون .. التائهون . الذاهلون .. النائحون .. لا ينقص الحفل البهيج سوى الدفوف الصم والوعى الملوث بالرضا .. الضائعون .. الخائفون من بعضهم .. من قربهم .. من بعدهم .. يارب ضلوا السير .. داروا حولهم بمحلهم .

لما تسابقت الضباع عبادة محسوبة للجمع أو للمحو لا للسعى أو للصحو .. خاف الجائعون جوعا أدهى وأمر .. جرعوا الكؤوس المترعات وتمددوا صرعى الخدر .

رمل الفلاة أحنُّ من لمس المغيب .. وكثافة الصخر الأصم أرق من ثقل البكم .

وتناثروا .. وتبعثروا .. فتداخلت أشباحهم فى ظل فجر كاذب عند الأفق .

إنه يستصرخ الألف مليون مسلم ويحتج بوجدان يتفجر بالألم والذهول والجنون .. أين أنتم ؟!.. ويقدم فى كتابه وقفة ذاتية تفتح

جراح النفس وتضيء أغوار الباطن بأسلوب مشتعل يضعه فى مصاف الفحول من كتاب السير الذاتية .. إنها ليست نكتة .. إنها صيحة استنكار .. وعويل مكتوم .. ونشيج متأجج .

ويصادف شيخنا لحظة تاريخية متفجرة لا تصلح للتعبير عنها إلا قنابل شعرية ناسفة ومشرط جراح لا يرحم .

حنانيك يا صاحبى .. إن الحكاية أكبر من قضية غضب .. وأعقد بكثير من ثورة مشاعر .. وكم من جان هو مجنى عليه .. وكم من قاتل هو قتيل .. وكم من ظالم هو ضحية .

ومصر أرض التين والزيتون وأرض الكنوز والخيرات .. كانت أرض معارك من ألوف السنين .. وكانت مطمع كل جبار بطول التاريخ.. يخرج منها غزاة ليدخلها غزاة .. من روم وفرس وبطالمة وهكسوس وحيثيين وتتار وفرنسيين وإنجليز .. إلخ .. إلخ .. فأى غرابة أن يحوم حولها الكلاب وقد استصحبوا أسدا .. إنما العتاب للأسد الذى طاوع الكلاب وترك عرينه الأمريكى الفخم وعرشه المجيد وجاء يزأر حول ديارنا زاعما أنه واسطة خير .. ورسول سلام .. وإنه يطلب للكلاب البؤساء المشردين أرضا .. وأن معه صك ملكية توراتيا بإمضاء الله الغيور على مخلوقاته .

والكوميديا الإلهية مطروحة على مجلس الأمن .

والكلاب أصابها السعار .

وأعضاء مجلس الأمن أصابهم جنون البقر .

والقضية تتأجل كل يوم إلى حين شفاء السادة الأعضاء شفاهم الله وعافاهم من جنون البقر .

وكل يوم يذهب كلينتون بكلام .. ويعود شارون بكلام .. وحوار الطرشان لا ينتهى .

ومعذور شيخنا يحيى الرخاوى أن ينفجر نافوخه بجنون شعراء من نوع خطير .. حفظ الله شيخنا وألهمه الصبر والسلوان .

لا تنسنا يا شيخ يحيى بتذكرة فى الصف الأول من الحجيج المليون فى الزحف الاستشهادى ولا تنس زجاجات ماء زمزم والسندوتشات ومن أجل خاطرى صندوق زجاجات كوكتيل مولوتوف.. فأنا لست مسيحا ولا غاندى .. وعلى من يقتلنا أن يغامر باقتلاع رأسه .

« والسن بالسن والبادى أظلم » .. فهذه لغتهم .. ولغة العصر.

وحاشا لله أن أخون عصرى .

وليغفر لنا ولك الحليم الغفار .

على حافة الزلزال

وضربوا لنا مثلاً

١٥

مـقـاتلو حـزب الله من الإيرانيـين فى جنوب لبنان ضـربوا مـثـلا للأمـة العـربيـة فى الصـمـود والفـداء .. واسـتطاعـوا القـاء الرعب فى إسـرائيل .. وانقـسـمت إسـرائيل لأول مـرة فى تاريخـهـا على نفـسـهـا بين مـهـرولين راغـبين فى الانسـحـاب من الجنوب اللبنانى فورا وبلا شروط وقد بلغ تعدادهم أربعين فى المائة من الإسرائيليين وبين البـاقى من المعـترضـين الذين وافـقوا على الانسـحـاب بشـروط أمنية .

لم تستطع إسرائيل أن تواجه خسارة سبعة من رجالها ومن قبل ذلك عشرين قتيلا فى عملية صاعقة انتقامية دبرتها إسرائيل انتهت بالإبادة الكاملة للقـوة الإسـرائيلية فى مـواجـهـة حـاسـمـة مـع جنود المقـاومة اللبنانية وجنود حـزب الله وسـاعـتـهـا بكى نتنياهو وصـرخ شـارون وأرغت إسـرائيل وأزبدت بالتـهـديدات الفـارغـة بضـرب لبنان ونسف بنيتها التحتية ثم تراجعت خوفا من سوء العاقبة وآخر عملية كانت مذبحة « ميدون » ومقتل ثلاثة ضباط إسرائيليين ومن بعدها جـاء اقـتـحـام ألفـين من الطلبـة اللبنانيـين لقـرية أرنون .. واندلعت

المظاهرات فى إسرائيل وارتفعت نسبة المطالبين بالانسحاب إلى ٥٥٪ .. لم يستطع الشعب الإسرائيلى تحمل هذه الخسائر المحدودة فى الأرواح وانسحبت القوات الإسرائيلية بالفعل من أرنون .

وكان لصمود الحكومة اللبنانية ودعمها لحزب الله دون خوف أثر باتر وقاصم للجبروت الإسرائيلى .. وما جرى على هذه الجبهة الصغيرة يعتبر مثلا وسابقة للمجموعة العربية التى آثرت أن تلزم مخابئها وتتجنب الصدام فى كل مواجهة مع إسرائيل واختارت الملاينة والمهادنة والمسالمة إيثارا للأمان .. وأقول إن هذا الأسلوب من الخضوع والملاينة والمهادنة لم يعد ينفع مع أمثال هذا التجبر الإسرائيلى .. وهل خرجت إسرائيل من سيناء إلا بحرب ؟؟!! وكيف تتوقع سوريا أن تخرج إسرائيل من الجولان واحتلالها للجولان لم يكبدها خسارة عسكرى واحد .. إن الكلام لا يحرر أرضا ..

وما فعلته لبنان وما فعله حزب الله مثال آخر يؤكد هذا اليقين ..

وما يقوله المتفلسفون والذين يدعون الواقعية من أن عصر البطولات قد انتهى .. هو ترويج للجبن والتخاذل ودعوة للاستلام .. فقد أثبت رجال حزب الله أنهم أبطال فعلا وأنهم رجال .. وأثبتت لبنان أن الرجولة لم تمت فى أمتنا .. ولكن القلوب التى أماتها حب الدنيا هى التى فقدت روحها وفقدت شهامتها وماتت وشبعت موتا .

ولو امتلأ المسلمون إدراكا بأن الموت حق والبعث حق وأن زخرف الدنيا متاع زائل وأمجادها لهو ولعب .. لهانت عليهم هذه الدنيا بما فيها ولما خافوا شيئا ولما أهمهم جبروت ولأقبلوا على الفداء كما كان يفعل أجدادهم الذين فتحوا العالم .. ولما قبلوا الظلم من أحد .

ولقد جربت إسرائيل جميع الخيارات فى صراعها مع لبنان من الاجتياح الكامل والغزو فى سنوات ١٩٨٢ - ١٩٨٦ إلى القصف الجوى العنيف مثل عناقيد الغضب ١٩٩٦ إلى ارتكاب المذابح فى « قانا » الذى قام به شيمون بيريز بعد مؤتمر السلام فى شرم الشيخ .. ولم تثمر كل هذه الخيارات شيئا ولم يبق لها إلا خيار واحد هو الانسحاب المنفرد من جنوب لبنان دون قيد ولا شرط طبقا لقرار مجلس الأمن ٤٢٥ .

وقد ضربت لبنان وضرب لنا حزب الله مثلا بليغا لكل العرب .

إن إسرائيل عدو ولكنه عدو جبان رغم أسلحته .. فهو قطرة فى بحر عربى .. ولو اجتمع العرب على كلمة ولو صح عزمهم على رباط واحد وعلى موقف صلب لتراجعت إسرائيل إلى حجمها الطبيعى .

وإنى أدعو إلى موقف إعلامى موحد وأهيب بكل الفضائيات العربية ومحطات البث التليفزيونى وقنوات الإذاعة إلى تحول جاد فى جميع البرامج السياسية والشبابية يعكس ويعبر عن هذه الروح الجديدة .. روح الجدية والصلابة والوحدة ..

إن العرب الآن فى مفترق طرق ..

وأنصاف الحلول والخضوع والاستكانة والاعتماد على أمريكا والتمسك بأهداب تطبيع زائف لن يجدى ومراوغات أوسلو وكوبنهاجن لم تعد تنفع .

والمواجهة قادمة لا مفر منها ولا مهرب .. فالسلاح يتكدس كل يوم فى إسرائيل .. وكل يوم تزداد إسرائيل تبجحا وغرورا وامتلاءً بقوتها .

وإسـرائيل لم تـعد تؤمن إلا بلغـة الصـواريخ والقنابل والرصـاص والعنف والتهديد .

والرئيس الأمريكى ضرب مصنع الأدوية فى السودان ليدعم موقفه المهلهل فى فضيـحة مونيكا .. ورأيناه يسـارع إلى ضرب العراق فى محـاولة ليكسب ورقة جديدة فى حكاية عزله .. واستطاعت إسرائيل أن تغريه بهذا الدور الكريه لتزداد الجفوة بينه وبين العرب ولتحوله إلى بلطجى يعمل لحسابها .

وأمريكا بهذا الدور الكريه تحولت إلى مجرد ساحة لتأديب العبيد الخارجين على طاعة السيد الإسرائيلى الجديد وأصبحت لإسرائيل اليد العليا فى المنطقة ..

ولقد كان الشرق فى الماضى سوق بهائم بالنسبة للغرب .. والغرب دخل منطقتنا كمستعمر ومستغل ولم يخرج منها إلا شفويا ومجازيا وما زلنا وما زالت أفريقيا كلها محل استثماره واستغلاله وما زال ينهبها إلى الآن وإسرائيل تحاول الآن أن تكون تاجر البهائم الجديد وأن تسوق بريطانيا وأمريكا بمكرها إلى مصالحها الخاصة .

ومـا تفـعله أمـريكا الآن هو القـتل الجـمـوعى والعـشوائى لشـعب مقـهور مغلوب على أمره على احتمـال أن تصـادف القنابل أسلحة يخفيها صدام هنا أو هناك وهو عدوان جبان .. وليس هذا أول عدوان أمريكى على المنطقة ..

وقـد رأينا أمـريكا تنصح بتـقليص دور الإسـلام ومـحـاربة الدين والتدين فـى المنطقة العربيـة كلها بدعوى أنه يؤدى إلى الإرهاب وهى تعلم أن الإرهاب من صنعـهـا .. وأمـريكا هى التى دعت إليـهـا عـمـر

عبدالرحمن وهى التى شجعت وأعانت بن لادن حينما كان يحارب السوفيت لحسابها وصالحها ثم بطشت به حينما بدأ يعمل لحسابه.. والعصابات الإرهابية كلها تعمل من قواعد فى أمريكا وأوروبا ولها ودائع وأرصدة دولارية فى أمريكا وفى جنيف وفى لندن والصهيونية تعمل بمكرها من وراء الكل .

وأمريكا تعلم أن الإسلام لا دخل له بالإرهاب الموجود وهى تعلم أن هذا الإرهاب صناعة مستقلة من اختراعها ولكنها تحارب الإسلام لأنه يحض على النضال ويحارب الظلم .. وهى تعلم أنها قد احتضنت الظلم باحتضانها لإسرائيل .. وأصبحت بذلك هدفا لأى غضبة إسلامية .. ومن هنا أصبح الإسلام عدوا يلزم القضاء عليه .. وأصبح الحل الأمريكى الأمثل هو إغراق المنطقة فى العرى والجنس والعبث والمسلسلات الفضائية الخرافية وفى أفلام العنف والرعب والأساطير وفى تحويل المنطقة إلى سوق استهلاكى لبضائعها وسوق عبثى لتقاليعها وموضاتها .. والكل غارق فى الموجة ..

ولا مانع من أن تزيح أمريكا علينا زبالتها الغذائية من الهامبورجر وماكدونالد وكنتاكى إلى آخر أنواع الأكل السريع وكلها عادات صحية ضارة وأطعمة من المخلفات لا تسمن من جوع ولا تروى من عطش .. ولكننا نحن سوق رائجة لكل شىء وشبابنا يلتهم كل شىء قادم من الغرب بلا تمييز .. وأمريكا تفقد بالتدريج دورها القيادى والريادى وتتحول إلى مسخ رأسمالى كريه وألعوبة فى يد القوى الصهيونية .. أين الوجود العربى .. وأين الصوت العربى فى هذا العدوان ..؟!!

هل أعود فأذكر بما فعل حزب الله وما فعلت المقاومة اللبنانية الباسلة التى خرجت إلى الجبل لتقاتل فى نفر قليل من الرجال لتنتصر على هذا الظلم كله ولتوقف إسرائيل عند حدها ولتقسم إسرائيل إلى أحزاب وشراذم ولترد إلى إسرائيل الضربات بأشد منها .

وقد ضرب هؤلاء الرجال الأشداء لنا مثلا .. بأن هناك مخرجا من هذا الليل المدلهم .. وبأن هناك أملا وبأن هناك حلا .. رغم الجبروت الأمريكى والصلف الإسرائيلى والسلبية الأوروبية والغيبوبة العامة التى تعيش فيها الشعوب والتى يعيش فيها الكل منكفئا على دنياه .. بأن اصحوا وأفيقوا أيها الناس .. فالبطولة ما زالت موجودة .. وفى إمكانكم أن تكونوا أبطالا .. وأن تردعوا الظالمين وتردعوا ظلمهم .. وأن تفعلوا الكثير وإن كنتم قلة ..

ولسنا قلة فهناك ألف مليون مسلم .. وهناك كثرة فى النسل وزيادة فى التعداد فاقت كل المعدلات وتكاد المنطقة تنفجر بسكانها .

فأى نوع من الكثرة سنكون ..

هذا أمر يمكن أن نصنعه بأيدينا .. وهذا أمر مفتوح لاجتهادنا وعزائمنا .. فمن الممكن أن نتحول إلى مجرد سوق لكل عابر .. ومن الممكن أن نصبح دولا قوية لها شوكتها ..

وبدون علم لن تجدى كثرة ..

العلم هو السلاح الحقيقى والحصن الحصين لأى أمه تريد أن تأخذ مكانها فى هذا العصر .

والإيمان رابطة بدونها لا تقوم أى مجموعة بشرية ولا ينتظم

لأعدادها هدف ولا قبلة .. ونحن أولى الناس بالقبلة الواحدة فنحن أهلها ..

ألا نقول فى كل صلاة .. ضموا الصفوف وسدوا الفرج .. ونقف وراء الإمام ألوفا ..

ألا نؤلف صوتا واحدا فى الكعبة ونحن نردد آمين وراء الإمام وقد اتجهنا جميعا نحو قبلة واحدة .. فلماذا نتفرق بعد هذا أشتاتا وكأننا لا نعرف بعضنا بعضا .. وقد نتقاتل أمما وطوائف ..

إن الله لم يشرع لنا القبلة الواحدة عبثا .. بل شرعها عمدا وقصدا ليجمعنا على ميثاق واحد .. وقال فى قرآنه « **إن هذه أمتكم أمة واحدة .. وأنا ربكم فاعبدون** » ..

الله أراد لنا الوحدة بالأمر وجعلها شريعة .. لأن فى هذه الوحدة نجاتنا والفرقة والتشرذم إلى سنة وشيعة وأباضية ودروز وغيرها كانت من ابتداعنا ولم ينزل الله بها من سلطان ..

وقد آن الأوان لنعود صفا واحدا فى مواجهة الخطر المشترك ونتصرف كجبهة واحدة وكتلة واحدة لها وزنها ..

والواقع يملى علينا هذا الأمر ..

فهل نجتمع بعد طول افتراق .. ومتى .. وكيف ..

إنه الضوء الذى يبقى لنا فى آخر النفق المظلم ..

وإذا لم يوجد هذا الذى سيجمعنا .. فلندع الله أن يبعثه ..

سبحانه وحده هو القادر على كل شىء ..

ويتهامس الناس بالمهدى المنتظر ويظنون أنه هو الموعود لخلاص هذه الأمة وهو الذى سيجمع شتاتها ..

وقد قابلت الكثير من مدعى هذا المهدى المنتظر وأكثرهم مكانه مستشفى الأمراض العقلية وسراى المجاذيب .

وحكاية المهدى إذا صدقت فإنها لن تكون دعوى يدعيها نفر من الناس التماسا للبيعة وجمع الأنصار والقيام بانقلاب فذلك من قبيل الهذيان والتخريب .. وإنما المهدى حكمه حكم بطل أمثال صلاح الدين الأيوبى سيجعله الله على رأس جيش مقاتل وينصره أو سيكون مثل غاندى يجعله الله على رأس حزب من أحزاب الأغلبية ويوفقه فى التصدى للامبراطورية الظالمة وهزيمتها والفوز لأمته بالاستقلال دون حرب ودون إراقة قطرة دم .. والله هو الذى يمهد الأسباب لأمثال هذا المهدى وليس جمع الأنفار وإدعاء الكرامات واصطناع الخوارق ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه المهدى ..

المهدى صنعه إلهية يصنعه الله على عينه ويمكنه ويمده بالأسباب كما يصنع العباقرة والمخترعين والنوابغ فى كل فرع من فروع العلم والفن والأدب .

وهل كان المتنبى إلا معجزة عصره فى الشعر .. وهل جاء من بعده أو من قبله من يطاوله .. إنه بلا شك صنعة إلهية فى الإعجاز اللغوى وليس منتجا ثقافيا فى أحد الجامعات .

هؤلاء أفراد يصنعهم الله على عينه ولا تصنعهم المدارس ..

ونسأل الله أن يمدنا بأمثالهم .. فنحن أحوج ما نكون إلى تلك النفحات الرحمانية والهبات القدسية .. التى يأتى بها الله بكلمة منه .

والنبع الرحمانى لربنا لا ينفد ولا يكف عن العطاء ..

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن

تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .. والله خلاق بحكم اسمه لا يتوقف عن الخلق ومنه يأتينا كل عظيم .

وسوف يكون المهدى من أهل الصلاح ومن أهل النسب الطاهر ولن يطلب لنفسه حكما ولا رياسة ولن يعرف أنه المهدى إلا حينما يتم النصر على يديه .. هكذا تقول الروايات عنه وهى كثيرة .. وهى أقرب إلى الأمانى منها إلى الحقائق ..

وانتظار المهدى لن يصنع مهديا .. وإنما العمل والصبر والكفاح والبطولة فى قلب الميدان وفى قلب المعركة هو الذى سيفرز القيادات الرائدة والزعامات التى يجتمع عليها الناس .. الأعمال وليست الدعاوى هى التى تصنع الأبطال وليس العكس ..

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » ..



الفضـــيحة .. !!

جوزيف أسترادا رئيس الفلبين .. « بهلوان وممثل أدوار الشجيع » .. بدأ حياته من قاع التياترو ومن أفلام الترسو .. يخطف الأضواء ويثير الجماهير كبطل يدافع عن الفقراء ويناصر قضايا الكادحين .. وصدق نفسه وكبر الأمر فى دماغه فتقدم للانتخابات .. وحملته الجماهير إلى مقعد الرياسة .. وتحول الخيال إلى حقيقة .. وهكذا فجأة .. تحول الممثل البهلوان الشجيع .. إلى سيادة الرئيس الزعيم حاكم الفلبين .

ولم يختلف الأمر كثيرا فقد بدأ الرئيس يقود البلاد على طريقة رؤساء العصابات .. يفتتح يومه بالاجتماعات الوزارية والقاء الخطب وتوقيع البيانات ومتابعة المشروعات .. وفى المساء تبدأ حفلات الأنس وجلسات القمار وموائد الشمبانيا والسكر والعربدة والمخدرات وفى آخر الليل تكون حلقة الصفوة من بنات الليل وحسن الختام فى أحضان أهل الحظوة وصاحبات المقام الرفيع أقصد صاحبات «القوام » الرفيع .. وكالعادة تغطى الدولة تكاليف هذه السهرات الجادة والمضنية .. ويصحو صاحبنا مصدعا فى ساعة متأخرة من النهار ويدلق فناجين القهوة فى فمه ليفرك عينيه ويتثاءب ويحملق فى الوجوه من حوله .

وحينما تفجرت فضيحة « سيادة الرئيس العضو فى نوادى القمار » .. وتناقلتها الجرائد .. قال الرئيس معلقا .. هكذا يحدث فى الأفلام .. يتعرض البطل للضرب فى البداية .. ولكنه يفوز بالضربة القاضية فى النهاية ..

ولكنها لم تكن نوادى القمار وحدها .. هى التى ظهرت فى الصورة .. وإنما الرشاوى بالملايين .. والسرقات بالهبل .. وأموال الضرائب التى كان يحولها إلى حسابه .. والعلاقات النسائية المتعددة.. والأبناء غير الشرعيين .. إلخ .. إلخ ..

وحينما فاحت الروائح الكريهة فى كل مكان وثار الشعب وقاد المظاهرات والتجمعات والمسيرات .. وفتح سيادة الرئيس نافذته ذات يوم ليجد مائة ألف يهتفون بسقوطه .. أدرك أن الضربة القاضية نزلت على رأسه هذه المرة بلا أمل .

وهذه المرة تحالف الجيش والكنيسة والفقراء فأطاحوا بالرئيس الفاسد ونصبوا نائبته جلوريا أرويو رئيسة للفلبين مكانه .

وكان هذا ثانى رئيس يسقطه شعب الفلبين بعد ماركوس وإيميلدا ماركوس .

وكالعادة قال الرئيس المخلوع .. إنها مؤامرة .. وأن الذين دبروها هم أعداء الشعب الذين يمتصون دماء الفقراء ويستغلون الكادحين .. ولكن لغة الخطابة لم تستطع الصمود أمام سوء الفعال .. وتهريج السينما لم يجد ..

وقال أسترادا إنه لن يهرب مثل فرديناند ماركوس الذى هرب إلى منفى فى هاواى بعد أن أطاحت به الثورة الشعبية فى ١٩٨٦ .. وأنه سوف يصمد للمحاكمة ويثبت براءته من كل هذه التهم والمفتريات التى ألصقت به زورا وبهتانا .. وبحسب قانون الفلبين فإن ثبوت تهمة

السرقة ونهب أموال الشعب عقوبتها الإعدام .

وقالت النائبة الكاثوليكية جلوريا أرويو التى تحكم البلاد .. والتى جاءت مكانه .

سوف نترك العدالة تأخذ مجراها بكرامة وبدون تهريج ..

هل يصمد بطل الترسو فعلا للمحاكمة العادلة ..؟!!

آخر الأخبار أن أسترادا ترك القصر الرئاسى وتوجه إلى منزله فى أحد أحياء مانيلا الراقية .. وأن أعوانه من عصابات نوادى القمار يدبرون له هروبا إلى أمريكا .

وهكذا تنتهى أفلام الـ « أكشن » فى العادة .

برصاصة تجندل البطل الأفاق ..

أو بهروب مهين يجرجر أذيال الخيبة .

أما الأفاقون العظام .. والجبابرة من المقاس الكبير .. فموعدهم مع الكبير القادر عليهم .. فى اليوم الذى لا تنفع فيه شفاعة .. ولا يجدى هروب .

وأين يكون الهروب .. من رب كل العوالم .. ورب كل الأزمنة .. الحاضر فى كل مكان .. والمحيط الذى يحيط بكل شىء .. ولا قبل لنظر أو عقل أن يحيط به .. إن يونس لم يجد المهرب الذى يخفيه فى بطن حوت .. وهو النبى .

إنها لحظة لا يعرف قدرها إلا مؤمن ولا يخشاها حق خشيتها إلا ولى ..

ولو آمن بها أهل هذه الدنيا .. لما كانت دنيا .. بل جنة ..

وما أكثر المؤمنين الذين يرددونها دون القدرة على تصورها ..

ولا يتصورها بحق إلا مرابط على آيات القرآن لا يبرحها ..

وذلك هو « الرباط » المنجى فى لغة أهل الله جعلنا الله منهم ..

إن سير الظالمين وحكايات الفساق .. مثل حكاية صاحبنا الفلبينى.. ومصارع الجبارين والقتلة .. الذين يحفل بهم التاريخ تفتح نوافذ العقل .. وتضىء رحبات التأمل .. على عتبات مفزعة نحن فى حاجة إلى ذخائر الحكمة التى تخفيها وسيادة الرئيس موضوع قصتنا .. والنجم صاحب النجومية التى حملت صاحبها إلى سدة الحكم .. والتى توشك أن تهبط به إلى حبل المشنقة .. ثم إلى حضيض الإعدام .. هكذا هبوطا من ذرى المجد .. إلى هاوية الندامة .. فجأة وبدون سابق إنذار .. هى فى نفس الوقت مناسبة منذرة لكل غافل .. ومثال صغير يضربه ربنا فى الدنيا لمصير يلاحقنا كظلنا من دنيانا إلى آخرتنا ولا نفكر فيه ولا نأخذه مأخذ الجد فى مجيئنا ورواحنا ومسعانا فى حياتنا الصاخبة اللاهية .

وبعضنا مثل هذا الاسترادا .. أصحاب نجومية فى أعمالهم .. وفى حياتهم الخاصة لهم سعى آخر ..

ولكل منا ما يخفيه وما يظهره ..

ولكل منا عثراته وعوراته .. وكلنا نمثل أدواراً على أنفسنا وعلى غيرنا ..

ومناسبات الأنس التى تجمع بعضنا على موائد الشراب تُنسى أهل الفرفشة والحظ ما يترصدهم من مفاجئات ومحن .. وتُنسيهم ما يحدث حولهم من كوارث .. كل يوم .. تنسيهم من يسقط بالسكتة القلبية ومن يسقط بالشلل ومن يقع بالسكتة المخية ومن يحمله سوء حظه إلى حادث تصادم يفقد فيه ساقية .. ومن يقع فى بالوعة .. ومن تنفجر به طائرة .. ومن يموت فجأة ببساطة وبدون أى سبب ..

وكلها أحداث تتكرر كل يوم .. وصفحات الوفيات فى الجرائد أكثر من صفحات الحوادث .. ونبأ الانتقال الوشيك إلى الآخرة .. نبأ

عادى يطرق أسماعنا كل ساعة .. وهو معلق فى رقبة كل منا رغم أنفه .. وهو يركب معه كل قطار وكل طائرة وكل أتوبيس ويجالسه فى كل وليمة .. ويشاركه فى كل احتفال .

ولكننا نسمع وننسى .. ونقرأ وننسى .. ولا أحد يعد العدة لهذه الرحلة المفاجئة ضمن ما يُعد لبرنامج كل يوم .

ولا أحد يجلس مع نفسه جلسة مصارحة قبل أن تقع الواقعة ..

إن أسترادا قد يهرب بأمواله إلى أمريكا .. ولكن أين يهرب حينما يوافيه أجله .. ولا توجد بنوك فى الآخرة يحول إليها دولاراته .. إنه رجل أبله ..

إن الدنيا التى تبدو كما لو كانت كلها لهوا ولعبا ليست تماما كما تبدو .. فلعبها لا يدوم .. وسكرتها لا تستمر .. وأنسها لا يكتمل ..

إنما أراد الله أن تبدو لنا كذلك ليستخرج منا كل نياتنا وليعطى لأشرارنا الأمان وليمد لهم فى حبال الأمل ليخرجوا أضغانهم ولينفثوا أحقادهم وليمكروا مكرهم .. ليتم المكتوب ويكتمل البلاء ..

إنها شبكة حريرية لاصطياد الذباب .. ذباب البشر .. وخنازير البشر .. وهم كثير .. يتنكر بعضهم فى ثياب الملوك .. ويأتى بعضهم فى ثياب السوقة .. ويخطف بعضهم الأضواء .. ويحتل بعضهم صفحات التاريخ وتكتب فى بعضهم السير والملاحم .. ويتدلى بعضهم من حبال المشانق ..ويمشى بعضهم فى الأسواق تحف به الملائكة ولا يدرى به أحد .

وكم من فقير خامل الذكر لا يدرى به أحد وهو فى كتاب الغيب من نجوم الآخرة .

إننا نعيش فى دنيا أشبه بالحفلة التنكرية .

ولا يبدو لنا أى شىء على حقيقته .. إنما هى أقنعة .. ورموز ..

وشخوص .. وأسرار .. فالملابس تنكرية .. والأحداث رمزية .. وهى جميعها صفحات من كتاب القدر تفض مكنونها عجلة الزمن الدوار ليقول كل منا كلمته ويأخذ فرصته ثم يخرج من الحياة ليأتى غيره وغيره .

لقد جاء استرادا نجم الشباك من ظلام الترسو ليمثل دوره الفاشل على مسرح الرئاسة فى الفلبين ثم سقط وترك وراءه خزينة مفلسة وديونا بلا آخر ومن قبله جاء ماركوس وايميلدا ونزيف آخر من الإنفاق .. وفى الكونغو جاء موبوتو سيسى سيكو ومن بعده كابيلا الأب ثم كابيلا الإبن .. والكونغو هى عاصمة الماس فى أفريقيا .. ومن ورائها ذئاب الاستعمار القديم بلجيكا وفرنسا وكلاب إسرائيل التى تتقاطر كلما ظهرت رائحة منفعة .

واستنزاف ثروات هذا العالم الثالث حتى النخاع ليس مصادفة .. وإنما هى اختيارات وراءها تدبير وتخطيط وسطو متعمد والظروف التى جاءت بماركوس وأسترادا وموبوتو وسوهارتو وباقى سرب اللصوص الذين نهبوا أفريقيا وآسيا ليست مصادفات .. إنما هى اختيارات الكبار الذين يديرون دفة هذا العالم ويخططون لنهب خيراته .. ووراء هؤلاء اللصوص دول كبرى ورؤوس كبرى ووراء المسرح الكبير الظاهر مسرح خفى .. ووراء المسرح الخفى أيد تتحرك لا يعرف أحد أصحابها .. وشخوص تتحرك فى الظلام لا يعرف أحد أسماءها ..

وهؤلاء هم المجرمون الكبار الذين يديرون شئون العالم .

من هم الذين خططوا لقتل السادات ؟؟!!

إن الذين فى الواجهة هم الجماعة الإرهابية .. هذا صحيح .. لكن من كان وراءهم ؟!! .. الله وحده يعلم ..

إن القائد قد اغتيل وسط جيشه فى هجوم محكم سابق الإعداد والتجهيز وفى عدوان مدبر لا مثيل له .. من هم الذين أعدوا المسرح للجريمة الكبرى ؟!! علامات استفهام .. إلى يوم القيامة .. وأسئلة وراءها أسئلة .. بلا جواب .. والتحقيق أغلق ولم يصل إلى شىء .. ولا يعلم الحقيقة إلا علام الغيوب .

ومن الذى قتل الفرعون الذهبى .. توت عنخ آمون ؟!!! رئيس الكهنة أم حورمحب ؟!! وحكايات الإجرام تجر بعضها .. إنها جماعة دينية أخرى من أربعة آلاف سنة كانت تتآمر على الحكم فى مصر .. ولم يبق منها إلا ظلالها الباهتة .. ما حكايتها ؟!!

الله وحده .. هو الذى يملك الجواب .. وهو الذى يأتينا بالتاريخ كله من عنده .. من أول الأزل إلى آخر الأبد .. والحكاية المحيرة التى عشناها جميعا ولم نجد لها تفسيرا إلى الآن .. هزيمة عبد الناصر المنكرة فى حرب ٦٧ .. كيف حدثت بهذه الصورة المخزية المروعة رغم علم عبد الناصر بيوم وساعة الهجوم .. وماذا كانت شهادة عبد الحكيم عامر .. وهل مات منتحراً أو مقتولا .. الحقيقة عند الله وحده علام الغيوب ولا نملك نحن إلا علامات استفهام وعلامات تعجب .. من هنا إلى يوم القيامة ..

من أجل هذا يا إخوانى أراد الله أن يكون هناك يوم يعلن فيه الحق فى مشهد جامع يؤتى فيه بالكل .. ويؤتى بالمجرمين على رؤوس الأشهاد .. فالله هو الحق .. والحق اسمه .. وذلك اليوم هو أعلى تجلياته ..

يقول ربنا ..

ومكروا ومكر الله ..

والله خير الماكرين ..

فقد مكروا جميعا لإخفاء الحق .. والله مكر بهم لإظهاره .. وذلك مكره الخير . وذلك اليوم الهائل هو تجلى جميع أسمائه .. الخافض الرافع المعز المذل العفو المنتقم الجبار القهار .. يقول ربنا .. ذلك يوم مجموع له الناس .. وذلك يوم مشهود .. لقد أراد الله أن يكون يوما مشهودا وأن يكون الخزى فيه معلنا .. إنه يوم « الفضيحة العظمى».. الذى لن تخفى فيه خافية .. ولن يجد مجرم ما يستتر به .. ولا ما يخفى به عورات نفسه .. ولن يجرؤ شفيع أن يتقدم من الله مدافعا عن ظالم .. ولن تعلو كلمة إلا كلمة .. العدل الحكم جل جلاله الذى لا يشرك فى حكمه أحدا .

يقول ربنا :

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] .

والكفر هو الحل السهل والمهرب الجاهز لكل من أثقلتهم جرائمهم.. فلا حساب هناك ولا مُحاسب وليس بعد رقدة القبر قيامة .

الحكاية كلها مهزلة نهايتها الموت .. وليس بعد الموت إلا التراب .. هكذا يقولون . ويقول الفلاسفة إن الدنيا ما هى إلا مسرح من مسارح العبث واللامعقول وأنها لا غاية لها ولا معنى ..

ولا أدرى ماذا يكون قولهم الآن بعد أن انكشف أمر الجينوم البشرى .. ذلك الكتاب المكنون من خمسة ملايين صفحة وثلاثة مليارات من الحروف الكيميائية فى خلايا كل مولود تشهد عليه بكل مراضه المحتملة فى المستقبل وكل نواحى ضعفه وقوته .. وكل هذا فى حيز أقل من ميلليمتر ..

أى غرابة بعد هذا أن يدون عليه الخالق الذى خلقه ما يستجد من

أعماله ؟!! وأن يسجل عليه جرائمه ..

هل هذا هو العبث واللامعقول .. أم هو الانضباط والإحكام والنظام المذهل ..

بل هناك وقفة حساب يا إخواني .. ولن يهرب مجرم من جريمته .. وللحكاية بقية .. وسوف تكون هناك قيامة ويكون حساب .. والذى خلق هذه الدنيا قادر على ذلك .. بل هو الوحيد القادر .

ادعوا ربكم ألا يصنع أحدكم ما يخزيه فى ذلك اليوم .. واشكروه على أنه لم يجعلكم ملوكا وأنه اختار لكم أن تكونوا مملوكين عبيدا .. ليفتح لكم باب العذر والمسكنة ..

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض .. فرب نعمة وراءها مذلة .. ورب رفعة وراءها مهلكة .

ولا نصادر على الغيب .. ونستغفر الله مما لا نعلم ..

ونقول مسلمين مستسلمين .. لله الأمر من قبل ومن بعد ..

لا إله إلا هو سبحانه إليه يُرجع الأمر كله .

فهـرس

صفحة

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود

١ إسرائيل البداية والنهاية
٢ الذين ضحكوا حتى البكاء
٣ الطريق إلى جهنم
٤ ألعاب السيرك السياسي
٥ الغد المشتعل
٦ الإسلام في خندق
٧ الإسلام السياسي
٨ عالم الأسرار
٩ عظماء الدنيا وعظماء الآخرة
١٠ على حافة الانتحار
١١ قراءة المستقبل
١٢ كلمة السر
١٣ زيارة للجنة والنار
١٤ المؤامرة الكبرى
١٥ علم نفس قرآني جديد
١٦ ماذا وراء بوابة الموت
١٧ الشفاعة
١٨ سواح فى دنيا الله
١٩ على خط النار
٢٠ حوار مع صديقي الملحد
٢١ اللـــه
٢٢ إسرائيل النازية ولغة المحرقة
٢٣ رحلتي من الشك إلى الإيمان
٢٤ على حافة الزلزال
٢٥ القرآن محاولة لفهم عصرى
٢٦ رأيت اللـــه
٢٧ تأملات فى دنيا اللـــه
٢٨ السر الأعظم
٢٩ عصر القرود
٣٠ في الحب والحياة
٣١ الأحلام
٣٢ الشيطان يحكم
٣٣ محمد صلى اللـــه عليه وسلم
٣٤ لغز الحياة
٣٥ لغز الموت
٣٦ العنكبوت
٣٧ الوجود والعدم
٣٨ الروح والجسد
٣٩ الشيطان يسكن فى بيتنا
٤٠ شلة الأنس
٤١ حكايات مسافر
٤٢ المسيخ الدجال
٤٣ جهنم الصغرى
٤٤ نقطة غليان
٤٥ أعترافات عاشق
٤٦ أكل عيش
٤٧ عنبر ٧
٤٨ رائحة الدم
٤٩ الزلزال
٥٠ إبليس
٥١ أينشتين والنسبية
٥٢ يوميات نص الليل
٥٣ المستحيل
٥٤ الأفيون
٥٥ الخروج من التابوت
٥٦ رجل تحت الصفر
٥٧ الإسكندر الأكبر
٥٨ الإنسان والظل
٥٩ الغـابــة
٦٠ مغامرة في الصحراء
٦١ إعترفوا لى
٦٢ ٥٥ مشكلة حب
٦٣ الطريق إلي الكعبة
٦٤ التـــوارة
٦٥ الماركسية والإسلام
٦٦ الطـــوفـــان
٦٧ من أسرار القرآن
٦٨ لماذا رفضت الماركسية
٦٩ القرآن كائن حي
٧٠ أكذوبة اليسار الإسلامي
٧١ نار تحت الرماد
٧٢ أناشيد الإثم والبراءة
٧٣ من أمريكا إلي الشاطيء الآخر
٧٤ أيها السادة اخلعوا الأقنعة
٧٥ الإسلام ما هو
٧٦ وبدأ العد التنازلي
٧٧ حقيقة البهائية
٧٨ السؤال الحائر
٧٩ سقوط اليسار
٨٠ هل هو عصر الجنون
٨١ الله والإنسان